الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

العَجَائِبِيَةُ في كتَاب منشُور الهِداية في كشف حال من ادّعى العلمَ والولايَة لِابن الفَكُون عبد الكريم.

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: الأدب العربي القديم

إعداد الطالب:
علاء الدين زعموشي

إشراف الدكتور:
مسعود بن ساري.

السنة الجامعية: 2019-2020.

شكر وعرفان

بداية أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على توفيقه وتسديده، فهو المتفضل الأول بسابق الكرم والعطاء، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والصادقين محمد –صلى الله عليه وسلم–.

وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"؛ أتقدم بأسمى معاني الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف " مسعود بن ساري " وعلى ما لَمَسْتُ فيه من رحابة الصدر، وكريمِ المعاملة وكذلك بإشرافه على مذكرتي وصبره وتوجيهه ونصائحه القيمة من بداية العمل إلى نهايته، جزاه الله كل خير.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي المحترمين في معهد اللغات، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ومد لي يد المساعدة، وزودني بالمعلومات الثمينة التي ساهمت في تذليل ما واجهت من صعوبات لإتمام هذا العمل.

مقدمة:

بسم الله، الذي تتم به الصالحات.

في تراثنا الأدبي بنوعيه المكتوب والشفهي، والفصيح والشعبي إرث يعبر عن نتاج فكري له دلالاته العميقة تجمع بين المتناقِضات، بين الواقع الملموس وعالم الأوهام والتخيلات، وذلك من خلال مظاهر التعجب الناتجة عن تصورات ذهنية، ليخلق بذلك الأديب مشاعر من التردد والاندهاش في النفس، وتأخذنا في سحر مخيلة ترسم لنا غرابة التصوير في الكون وفي الإنسان معا. ومن هذه الفكرة جاء موضوع بحثي الموسوم ب: "العَجَائِبِيَةُ في كتَاب منشُور الهِداية فيمن ادّعى العلمَ والولايَة لِابن الفَكُون عبد الكريم".

وقد اجتمعت جملة من الدوافع الذاتية والموضوعية منها: الفضول المعرفي في الاطلاع على الموضوع، كثرة البدع والدجل السائد الى يومنا هذا نحو تلك المواضيع، قلة الدراسات في موضوع العجائبية وبالأخص في المدونة المختارة، المتعة التي تقدّمها قراءة العجائب المبثوثة في المدونة.

أما **الإشكال** الأساسي المطروح من الدراسة: ما هي أشكال العجائبية في المدونة؟ وما هي مرجعيتها؟

ولمقاربة هذه الإشكالية بنيت **خطة بحثي** على فصلين، الفصل الأول تضمن مفاهيم أولية للبحث، جمعتها في مبحثين اثنين: مفهوم العجائبية ونشأتها، وترجمة الكاتب والتعريف بمؤلفه. أما الفصل الثاني: "تمظهرات العجائبية ومرجعيتها" فتضمن مبحثين كذلك؛ الأول: تمظهرات العجائبية، والثاني: مرجعيتها. ومن المعلوم أننا افتتحنا بحثنا بمقدمة، وختمناه بخاتمة استنتاجية، وذيلناه بفهارس للمصادر والمراجع والمحتويات.

واستعنت **بالمنهج** الموضوعاتي في مقاربتي هذه، لما فيه من خصائص تناسب الدراسة.

واعتمدت على **مصادر ومراجع** منها: مدخل إلى الأدب العجائبي لتودوروف، السرد العربي لسعيد يقطين، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي مفاهيم وتجليات لكمال أبو ديب.

وكأي جهد بشري فقد اعترضتني بعض الصعوبات، لعل أبرزها نقص الدراسات في هذا المجال أي العجائبية ، انتشار جائحة كورونا، وما ترتَّب عنها من إغلاق للمكتبات، وتوقيف للنقل، ولكن ذلك لم يمنع من إمكانية تواصلي مع أستاذي المشرف بواسطة الهاتف والأنترنيت وغيرها.

فأتقدم له بالشكر الجزيل، وإلى أساتذتي لجنة المناقشة على كرم قبول المناقشة، وعلى التصويبات والتوجيهات، وأسأل الله لهم جميعا الخير العميم، ودوام الصحة والعافية.

الفصل الأول

مفاهيم أولية

المبحث الأوّل: مفهوم العجائبية ونشأتها.
المبحث الثاني: ترجمة الكاتب والتعريف بمؤلفه.

الفصل الأول: مفاهيم أولية

تعد العجائبية من بين المصطلحات الأدبية التي حظيت باهتمام العديد من الروائيين والنقاد، إذْ من خلالها نقل العقل البشري من العوالم المألوفة إلى العوالم غير المألوفة حيث يتم فيها جمع العالم الواقعي بالخيالي ليشكل بعد ذلك عالما افتراضيا من نسج خيال المبدع، رغبة منه في شد انتباه المتلقين، وذلك عن طريق العجيب ومن هنا وجب علينا تبيين ماهية هذا المصطلح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

المبحث الأول؛ مفهوم العجائبية ونشأتها:

أولا؛ مفهوم العجائبية:

1-لغة:

يكمن في كل من القرآن الكريم والمعاجم العربية القديمة منها والحديثة.

أ- القرآن الكريم:

ظهرت لفظة العجيب بمختلف أوزانها في عدة سور من القرآن الكريم نورد منها قوله تعالى: "قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ"[1]. وجاءت بنفس الصيغة في سورة "ق" إذ يقول عز وجل: "بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ"[2]. وأتت بصيغة عُجاب في سورة "ص" إذ يقول تعالى: "أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ"[3]. وجاءت بصيغة عَجَباً في سورة الكهف في قوله تعالى: "أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا"[4].

---

1 سورة هود الآية 72.

2 سورة ق الآية 02.

3 سورة ص الآية 05.

4 سورة الكهف الاية 09.

فهذه الآيات تحمل طابع الدهشة والحيرة والتعَجب، وفي الآية الأولى نجد أن زوجة نبينا إبراهيم عليه السلام سارة تتعجب من الحادثة التي وقعت لها، أي كيف تلد وهي وزوجها مسنان إلا أن عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته تجاوزت كل ما هو معقول ومألوف إلى اللامعقول ورزقت سارة بابن رغم كبر سنها. ونجد أيضا أن الآية الثانية والثالثة تحمل طابع الدهشة والاستغراب، فقد تعجب الكافرون من إرسال الله سبحانه وتعالى رسولا إليهم يحمل رسالته وهو بشر مثلهم، وأنه لم يرسل واحدا منهم بدلا عنه ليحمل هذه الرسالة إلى الأمة.

أما في الآية الرابعة فقد دلت كلمة "عُجاَب" على شدة استغراب الكفار من وجود إلاه واحد لا شريك له في الرسالة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا انبهارهم من الدعوة الرامية لإخراجهم من الكفر والشرك الذي يعيشون فيه، وهذا الأمر غريب عليهم وخارج على عاداتهم، والآية الخامسة فيها دهشة وانبهار الكفار عند سماعهم لآيات الله تعالى.

ومنه فكل هذه الآيات على الرغم من اختلاف مواضيعها إلا أنها جميعا تحمل طابع الحيرة والدهشة.

ب- المعاجم العربية:

لقد تطرقت المعاجم العربية للفظ العَجِيب، فمنها ما ورد في معجم لسان العرب "لابن منظور" في مادة "عجب". "العُجُبُ والعَجَبَ": إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، وجمع العجب إعجاب. (قال الشاعر): يا عَجباً للدَّهْرِ ذي الأَعْجابِ ... الأَحدَبِ البَرْغُوثِ ذِي الأَنْيابِ"[1]

وجاء في المعجم الوسيط "عجب منه عجبا، وعجبا، وعجبا" أنكره لقلة اعتياده إياه"[2].

وجاء أيضا في قاموس المحيط بأن، العَجب: بالفتح: أصل الذنبِ، مؤخرة كلُ شيءٍ، وقبيلةٌ، بالضم: الزهو والكِبر... وإنكار ما يرد عليك، كالعجب، محركة، وجمعها، أعجاب، وجمع

1 لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1444هـ، 1994م، مج1، (مادة عجب)، ص 580.

2 المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، إستنبول، تركيا، (د، ط)، (د.ت)، ج1 ص584.

عجيب عجائب"[1]. فمن خلال التعريفات السابقة نستنتج أن العجيب هنا هو الإنكار، أي إنكار كل شيء جديد لقلة الاعتياد عليه.

أما في معجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي" فهو "عَجِبَ عَجْباً، وأمر عجِيبٌ عَجِبَ عُجَابٌ، قال الخليل بينها فرق. أما العَجيب فالعَجب وأما العُجَابُ فالذي تجاوز حد العجب. وتقول: هذا العجَب العُجاب أي: العجيب والاستغراب شدة التعجب، وهو مُسْتَعْجِبٌ ومتعجِبٌ مما يرى"[2].

وجاء في مقياس اللغة لابن فارس: "ونقول من باب العَجَبَ عَجِبَ يَعْجَبُ عجباً وأمرٌ عَجِيب، وذلك إذا أُستكبر وأُستعظم، وزعم الخليل أن بين العَجِيب والعُجاب فرقا، فأما العجِيب مثله، (فالأمر يتعجب منه) وأما العُجاب فالذي تجاوز حد العَجيب"[3]. والعجب في هذين التعريفين هو الاستغراب والدهشة التي تصيب الإنسان جراء استعظامه لشيء غير مألوف.

وفي الأخير فإن من خلال البحث عن المعنى اللغوي للفظة عجيب سواء في القرآن الكريم أو المعاجم العربية، وجدنا أن معناها في القرآن الكريم لا يخرج عن طابع الدهشة والاستغراب، وكذا في المعاجم تعني الإنكار والدهشة والحيرة عند رؤية شيء ما غير مألوف فيصاب الإنسان بدهشةٍ وحيرة وتردد.

2- اصطلاحا:

تمركز المعنى اللغوي للعجب في الدهشة والحيرة، فما دلالتها في الاصطلاح؟ لقد تناول العديد من النقاد مصطلح العجائبية سواء في الثقافة الغربية أم العربية، وكلٌ فسره من وجهة نظره الخاصة، وهذا ما أدى إلى تعدد وتنوع في مفاهيم هذا المصطلح، وذلك لأن فكرة العجائبي بطبيعتها غير قابلة للتعريف النهائي.

---

1 القاموس المحيط، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، توثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1999م، مادة عجب، ص104.

2 معجم العين، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، لبنان، بيروت، ط1، 1988، ج: 1 (مادة ع، ج، ب)، ص235.

3 معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص228.

أ-العجائبية في الأدب الغربي:

تناول العديد من الغربيين العجائبية وكان من بينهم "تودوروف" Todorov، حيث عرفها في كتابه "مدخل إلى الأدب العجائبي" وذلك في قوله: "فالعجائبي هو التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر"[1]، وانطلاقا من هذا يتضح أن تودرووف" Todorovربط العجائبية بالتردد الذي يصيب الإنسان حال مصادفته أشياء غير طبيعية، إذ يصاب بالدهشة والحيرة. ويقول كذلك:" إذًا فالعجائبيّ يحيا حياة ملؤها المخاطر، وهو معرّض للتّلاشي في كل لحظة. يظهر أنّه ينهض بالأحرى في الحدّ بين نوعين, هما العجيب والغريب، أكثر ممّا هو جنس مستقلّ بذاته"[2].

في حين يرى "كستكس " kaciks في كتابه "الحكاية العجائبية" فيقول: "يتميز العجائبي... بتدخل عنيف للسر الخفي في إطار الحياة الواقعية"[3]. ويعرفه الويس فاكس lwis fakes في كتابه الفن والأدب العجيبان فيقول: "يحب القص العجائبي . . أن يقدم لنا بشرا مثلنا، فيما يقطنون العالم الذي توجد فيه، إذا بهم فجأة يضعون في حضرة المستغلق عن التفسير"[4].

أما فيما يخص روديه كايو rodih kayou في كتابه قلب عجائبي فيقول: "إنما العجائبي كله قطيعة أو تصدع للنظام المعترف به، واقتحام اللامعقول لصميم الشريعة اليومية التي لا تتبدل"[5]. وعليه فالتعريفات الثلاثة الأخيرة تشترك في فكرة واحدة، وهي اِختراق كل من الظواهر الخفية السرية واللامفهومة واللامعقولة للحياة اليومية العادية المعقولة.

---

1 مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف تزفيطان، تر: الصديق بوعلام، مراجعة: محمد براءة، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1994، ص44.

2 مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف تزفيطان، تر: الصديق بوعلام، مراجعة: محمد براءة، ص65.

3 مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف تزفيطان، تر: الصديق بوعلام، مراجعة: محمد براءة، ص45.

4 المرجع نفسه، ص45.

5 المرجع نفسه، ص45.

يرى إيريف بيرسيير irife pirsyire في كتابه المحكي العجائبي شعرية الوهم: بأن العجائبي "شكل مزدوج يولد من تناقص فعلي ما دام الفنطاستيك ليس نوعا عقليا، ولكنه خاصية سردية"[1].

وقد عرفها أرسطو في كتابه الخطابة بقوله: "إن العجيبات إنما تكمن من البعيدات، وما يحدث العجيب يحدث اللذة"[2]، فالعجيب عنده يتحدد من خلال الأشياء البعيدة المجهولة الأسباب، فهي التي تثير الدهشة والحيرة في النفس، واللذة عنده تتحقق من خلال أشياء جديدة. فالعجائبية في الثقافة الغربية تتمثل في اختراق كل الظواهر اللامعقولة للحياة المعقولة، مما يجعل الإنسان يصاب بالدهشة والحيرة والانبهار.

ب- العجائبية في الأدب العربي:

لقد عرف العرب العجائبية كغيرهم من الشعوب، إذ تناولوها بالتعريف وكان لكل ناقد تعريفه الخاص. فنجد سعيد علوش يعرف العجائبي على أنه: "شكل من أشكال القص، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديدة، تعارض قوانين الواقع التجريبي، وتقرر الشخصيات في هذا النوع العجائبي، ببقاء قوانين الواقع كما هي"[3].

ومن هذا يتضح أن علوش اعتبر العجائبية تقنية من تقنيات القص، تعترض فيها الشخصية بقوانين غريبة وغير مألوفة، وما عليها إلا قبولها والتأقلم معها، ولكن دون الابتعاد عن القوانين الواقعية والطبيعية.

في حين أن العجائبي عند سعيد يقطين يتحقق على قاعدة الحيرة أو التردد المشترك بين الفاعل (الشخصية) والقارئ حيال ما يتلقيانه، إذ عليهما أن يقررا ما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك"[4]. فالعجائبي عنده قائم على الحيرة والتردد اللذان يصيبان القارئ والشخصية جراء ما يتلقيانه من أمور لا تتصل بالواقع.

---

1 الرواية العربية الفنتاستيكية، جميل حمداوي، على الرابط: http://www.ahewar.org/
تاريخ الزيارة: 2020 / 02 / 09

2 الخطابة، أرسطو، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1979، ص186.

3 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985 م، ص146.

4 السرد العربي، مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ،2012م، ص233.

في حين أن أمال ماي عرفتها بقولها: "العجائبية هي انتهاك القوى غير الطبيعية واللاعقلية لما هو مألوف وعادي في الواقع الإنساني، وبتعبير أخر هو انزياح عن قواعد العقل ونواميس الطبيعة عن قصد وعمد ثورة على الواقع وإدانته له، لبشاعته وغرابته"[1]. فمن خلال هذا التعريف نخلص إلى القول بأن العجائبية في نظر أمال ماي، هي تلك القوى غير الطبيعية وغير المألوفة التي تخترق كل ما هو واقعي وحقيقي، لتجعل منه عالما غريبا مليئا بالظواهر اللامعقولة.

ومن مجمل التعاريف السابقة نستخلص بأن العجائبية مجموعة الظواهر والأحداث غير الطبيعية التي تخترق العالم الواقعي، إذ تجعل الإنسان يشعر بالحيرة والتردد والاستغراب، وما عليه سوى مقابلتها بالقبول مع الحفاظ على الواقع الطبيعي.

3-شروط العجائبي عند "تودروف":

لتحديد العجائبي وضع "تودروف" ثلاثة شروط وهي كالاتي:

1- أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كما لو كان عالما فيه أشخاص أحياء، حيث أن هذه الشخصيات هي جزء منه، كما يحمله أيضا على التردد بين التفسير الطبيعي وغير الطبيعي للأحداث المروية، وهذا الشرط "يعيدنا إلى المظهر اللفظي للنص، وبشكل أدق إلى ما يدعى ب"الرؤى": أن العجائبي حالة خاصة من المقولة الأعم ل" الرؤية الغامضة"[2].

2-الإحساس بالتردد من قبل الشخصية، ومن خلال القراءة الساذجة يتوحد القارئ مع الشخصية، ويعتبر هذا الشرط "أكثر تعقيدا فهو يرتبط من جانب المظهر التركيبي، في حدود افتراضية وجود نمط شكلي للوحدات بردود الفعل" بالتعارض مع "الأفعال التي عادة ما تكون نسيج القصة، ومن جانب آخر، يرجع إلى المظهر الدلالي بما أن الأمر يتعلق بموضوعة ممثلة، هي موضوعة الإدراك الحسي وإيحاؤه أو تضمينه"[3].

1 العجائبية في رواية سرادق الحلم والفجيعة عز الدين جلاوجي، أمال ماي، مجلة المخبر، ع:09، 2013م، ص290.

2 مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف تزفيطان، ص49.

3 المرجع السابق، ص49.

3-ينبغي على القارئ أن يختار موقفا معينا تجاه النص: أنه سيرفض التأويل الأليغوري[1]

مثل التأويل الشعري، ولهذا الشرط "طابع أعم وهو يفارق، القسمة المظهرية بتعلق الأمر باختيار بين عدة أشكال و(مستويات) للقارئ"[2].

لقد وضع "تودوروف" هذه الشروط الثلاث لتحديد مفهوم العجائبية، إلا أنه لم يجعل لها قيمة متساوية، "فالأول والثالث يشكلان الأثر حقا، أما الثاني فيمكن أن يكون غير مبلى، بيد أن أغلب الأمثلة تستجيب للقيود الثلاثة"[3].

4 -نقد الطرح التودوروفي العجائبي:

لقد اتبع العديد من النقاد الطرح الذي جاء به تودوروف بخصوص تعريفه للعجائبي، حيث أنه ربطه بصفة التردد الذي يصيب الإنسان في لحظة زمنية معينة، ومن بين هؤلاء نجد سعيد علوش حيث نلاحظ أنه اعتمد على تعريف تودروف، وعمد إلى تعريب المصطلح بالفنتاستيك، مصطلحا في الوقت نفسه على العجيب وبالمعنى نفسه الذي أرساه تودوروف بالعجائبي، وعلى الغريب بالغرائبي"[4].

إضافة إلى سعيد يقطين الذي عمل على تبني الرؤية التودوروفية ويتجلى ذلك في كتابه السرد العربي مفاهيم وتجليات وذلك من خلال قوله: "إن حصول هذه الحيرة أو العجز عن معرفة كيفية وقوع الفعل العجيب هو الذي يولد، ويحدد "العجائبي" كما تقدمه لنا مختلف الحكايات أو "الأخبار" التي تزخر بها كتب العجائب العربية"[5].

---

1 ينتهي تودوروف الى تحديد الأليغورة، أو المرموزة التمثيلية بكونها تفترض وجود معنيين على الأقل، لنفس الكلمات، فيقال لنا تارة أن المعنى الأول لابد أن يختفي، وتارة أخرى أن المعنيين كليهما لابد أن يوجدا معا، وهذا المعنى المزدوج يكون معنيا بصراحة بحيث أنه لا يكون متعلق بالتأويل الاعتباطي أو غير الاعتباطي لقارئ ما، وهي تمثيل مجازي له مغزى أخلاقي أو ديني، انظر تودوروف تزفيطان، مدخل إلى الأدب العجائبي، ص: 167.

2 مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف تزفيطان ، ص49.

3 المرجع نفسه، ص49.

4 العجائبية في الرواية العربية المعاصرة، مقاربة موضوعاتية تحليلية، بهاء بن نوار، (الطيب بودربالة)، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، 2012-2013، ص20.

5 السرد العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، ص233.

وفي مقابل هذا نجد أن هناك من ثار على هذا الطرح أمثال كمال أبو ديب، وذلك من خلال قوله: "يحق للإبداعية العربية أن تنسب لنفسها في سياق التاريخ الأدبي الذي كانت تعيه، ابتكار فن أدبي جديد هو فن العجائبي والخوارقي. ويجلو ذلك عبثية الأداءات الصريحة أو المتضمنة التي يقوم عليها عمل باحثين مثل تزفيتان تودوروف ينسبون إلى الغرب حصرا ابتكار ما أسموه الآن الفنتاستيك (fantastique)

وعبثية من يتعقبهم من الباحثين وهواة البحث من العرب الذي يفتنهم كل غربي"[1]، وهنا نجد دعوة صريحة إلى عدم الاقتداء بالنظرية التي جاء بها تودوروف.

كما أن هذه النظرية لم تسلم من انتقاد الدارسين الغربيين أنفسهم لكثير مما جاء فيها جملة وتفصيلا"[2]، مثل ما جاء في مذكرة "دنيس لأبيه"، جيلبير ميليه ومارستيل شنايدر، هذا الأخير الذي يظهر في قوله دعوة صريحة إلى ضرورة توسيع مفهوم العجائبي، وعدم سجنه داخل جدران نظرية أحادية ضيقة، لأنه فن متعلق بالحياة نفسها، بكل ما يسودها من مفارقات وتناقضات"[3]، و"على عدم الاكتفاء بما أقرته نظرية تودوروف، وعلى عدم التمثل المطلق لحدود مفاهيمها، ومصطلحاتها، حيث سيفتح مفهوم العجائبي وفقها ليستوعب حضور الماورائي بشكله المطلق في صميم أنسجة الرواية السردية، أو الوصفية دون إثقال القراءة بافتعال حدود فاصلة بينه، وبين ما اصطلحوا عليه بالعجيب من جهة، أو الغريب من جهة ثانية– واصطدامه مع بنية الواقع فيها"[4].

وعليه فرغمِ اِقتداء العديد من النقاد بالطرح التودوروفي، إلا أنه لاقى العديد من الانتقادات والرفض من قبل البعض الأخر مثل كمال أبوديب وجيلبير ميليه ومارستيل شنايدر، إذ نادى هذا الأخير إلى توسيع مفهوم العجائبي، وإخراجه من ضيق وجهة تودوروف، إذ حصره في التردد وهذا التردد يكون في فترة زمنية معينة ولا يدوم طويلا.

1 الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، كمال أبو ديب، دار الساقي ودار أوكس للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص08.

2 العجائبية في الرواية العربية المعاصرة، مقارنة موضوعاتية تحليلية، بهاء بن نوار، ص28.

3 المرجع نفسه ، ص29.

4 المرجع نفسه، ص30.

5- اهم المصطلحات المتداخلة مع العجائبي:

ان كلمة (عجائبي) تستعمل كمصطلح أدبي لوصف الأحداث فوق الطبيعية،

وهي معربة من الكلمة الفرنسية (fantastique) أو (fantastic) الانجليزية، إلا أن هذا المصطلح يشهد اضطرابا في الاستعمال"[1]، حيث نجده يتمثل في مجموعة من المفردات تختلف في من باحث إلى أخر من بينها: العجيب، الغريب، الفنتاستيك، الخارق، الفنتازيا، السحري، المدهش، وسنحاول الإشارة الى كل مصطلح باختصار للإفادة اكثر.

أ- العجيب:

لقد كان لفظ العجيب متداولا في الثقافة العربية، إذ أن هناك العديد من الكتاب استخدموا هذا اللفظ عنوانا لمؤلفاتهم، مثل الرحالة ابن خلدون الذي عنون رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" كما استعمله القزويني أيضا بصيغة الجمع -عجائب- في كتابه "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، وحتى الأدب الشعبي لم يغفل هذا اللفظ، ويظهر ذلك من خلال مؤلف فاروق خورشيد الموسوم بعالم الأدب الشعبي العجيب"، وقد تناولته العديد من الكتب بالتعريف، إذ عرفه القزويني بقوله: "العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن كيفية تأثيره فيه"[2].

كما عرفه "الجرجاني" في معجم "التعريفات بقوله: "العجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة"[3]. فمن هذين التعريفين السابقين نستخلص أن العجيب يتمثل في الظواهر الجديدة التي تصادف الإنسان وهو لا يدري بأسبابها ولا كيفية تأثيرها عليه، وهذا يجعله يتعجب ويشعر بالدهشة والحيرة في حين عرفه تودوروف" في قوله بأن العجيب يقترح علينا وجود فوق طبيعي، بالضبط

---

1 حبكة العجائبي في المتخيل السردي العربي قراءة في عالم أحمد الفقيه القصصي، ميسوم عبد القادر، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع: 17 ديسمبر 2014، ص146.

2 عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، (د،ط)، (د.ت)، ص05.

3 كتاب التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 816 هـ، 1413م، صص 123-124.

من جراء بقائه غير مفسر وغير متعقل"[1]، فتدروف ربط العجيب بالوجود الذي ليس له أي تفسير، ولا يمت بصلة للواقع والعقل، كما أقرَ أيضا بأن الجنس

العجيب يرتبط بحكايات الجن حيث يقول: " يرتبط جنس العجيب عموما بجنس حكاية الجن، وفي الحقيقة لا تعدو حكاية الجن أن تكون واحدة من منوعات العجيب"[2]. وفي الأخير إن كل هذه التعريفات تتفق على أن العجيب قائم على كل ما هو غير مفسر، وغامض ومجهول الأسباب، وهذا كله يؤدي إلى الحيرة والاستغراب.

ب-الغريب:

جاءت لفظة الغريب في اللغة "الغرابة: استخدام الكلمات الوحشية وغير المأنوسة يجعل المعنى غير واضح"[3]. ويعرفه "القزويني" بقوله: "الغريب هو كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته"[4]، فمعجزات الأنبياء عليهم السلام المتمثلة في انقلاب العصا ثعبانا وخروج الناقة من الصخرة الصماء....تظهر ذلك، فالقزويني هنا لا يفرق بين الأمر الغريب والأمر العجيب، فقد أقر بأنهما شيء واحد فما هو غريب عجيب، وأن كلاهما راجع إلى قدرة الله تعالى، إذ أن كل الأمور الغريبة والعجيبة تحصل بقدرته عز وجل من تلك المعجزات.

وقد ذهب "عبد الفتاح كيليطو في كتابه "الأدب والغرابة" الى ان": الغرابة لا تظهر إلا في إطار ما هو مألوف. الشيء الغريب هو ما يأتي من منطقة خارج منطقة الألفة ويسترعي النظر بوجوده خارج مقره"[5]. في حين تحدث عنه الشاكر عبد الحميد "في كتابه "الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب" بقوله: "الغرابة ترتبط بالخوف والرؤية أو السماع لغير المألوف المثير للفزع غير

1 مدخل إلى الأدب العجائبي، تودروف تزفيطان، ص63.

2 المرجع نفسه، ص64.

3 المعجم المفضل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ - 1999م، ج1، ص668.

4 عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2003م، ص09.

5 الأدب والغرابة، عبد الفتاح كيليطو، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م، ص69.

الأمن"[1]، فقد ربط الغرابة بالخوف الذي يعتري الإنسان جراء سماعه ورؤيته لأشياء تثير الفزع والرهبة.

في حين عرفته الباحثة "نورة بن إبراهيم العنزي" بقولها :"إن الغريب هو البسط والعجيب هو المركز، والعجائبي هو الأشد تركيزا، لعدم إمكانية البحث عن قوانين للطبيعة، أو قبول قوانين جديدة لا تسمح بتفسير الظاهرة، لكنه فوق مستوى الطبيعة"[2]، فهي لا تساوي بين الغريب والعجيب والعجائبي، ذلك أن الغريب حسبها لا يقبل قوانين جديدة للطبيعة، ولا يسمح بتفسير الظواهر، وهو لا يساوي الطبيعة وإنما هو اعلي مستوي منها.

أما تودروف فيعرفه بقوله: "يتحدد الغريب بوصفه جنسا مجاورا للعجائبي، بكونه لا يحقق إلا شرطا واحدا من شروط العجائبي، ألا وهو وصف ردود فعل معينة، وبصفه خاصة: الخوف، إنه مرتبط فقط بأحاسيس الشخصيات وليس بواقعة مدينة تتحدى العقل كما يؤكد تودروف"[3].

وعليه فإن الغريب يتمثل في كل الأشياء غير المألوفة، إذ أن الإنسان يشعر بالفزع والخوف جراء ما يشاهده لأول مرة، ونلحظ بأن "القزويني" لم يفرق بين الغريب والعجيب كما جعله تودروف مجاورا للعجائبي.

ج- الفنتاستيك :

يعد مصطلح الفانتاستيك من المصطلحات المتداخلة مع العجائبي، وهي" من مفردات القرن 14م، وهي مشتقة من الكلمة الإغريقية phantastikos والتي تحولت عبر اللاتينية إلى fantastique، وتدور حول معاني الخيال"[4].

1 الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب، شاكر عبد الحميد، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، يناير، 2012، ص26.

2 العجائبي في الرواية العربية، نورة العنزي، نماذج مختارة، (أحمد حسن بصرة)، رسالة الماجستير، جامعة الملك مسعود، المملكة العربية السعودية، كلية الدراسات العليا،2007، ص17.

3 مدخل إلى الأدب العجائبي، تزودوف تزفيطان، ص167.

4 العجائبية في الرواية الجزائرية، الخامسة علاوي، دار التنوير الجزائر، (د، ط)، 2013، ص33.

وقد كان هناك اختلاف كبير في مصطلح fantastique فهناك من عمل على ترجمته إلى مصطلحات أخرى، وهناك من عربه –فنتاستيك–، وهو من المصطلحات التي تداخلت مع العجيب، وقد عرفه "سعيد علوش في معجمه بقوله: "أما الفنتاستيك الذي يقابل العجائبي فيقع بين الخارق والغريب، متحفظا بتردد البطل بين الاختيارين، كما يحدد ذلك تودروف"[1]، فهو هنا يقع بين الخارق والغريب مع ملازمته صفة التردد التي جعلها "تودروف" أهم ميزة في مفهوم العجائبي، لذلك انطلق في تعريفه هذا من تعريف "تودوروف "للعجائبي.

د– الخارق:

جاء تعريفه في معجم المفضل تحت اسم الخارق للطبيعة، وذلك بقول "محمد التونجي " كل ما استخدمه الأديب من مظاهر خارقة لا يقبل بها العقل المثقف من جان وعفاريت كما في "علاء الدين والفانوس السحري"[2]، فالخارق عنده يتمثل في كل المخلوقات غير الطبيعية واللامرئية التي يصعب على العقل البشري تصديقها من اول وهلة مثل الجان،

في حين استعمله "كمال أبو ديب" تحت مسمى أخر –الأدب الخوارقي– وقد عرفه كما يلي "يجمع الخيال الخلاق مخترقا حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي، ومخضعا كل ما في الوجود، من الطبيعي إلى الماورائي، لقوة واحدة فقط: هي قوة الخيال المبدع المبتكر الذي يجوب الوجود بإحساس مطلق بالحرية المطلقة "[3] ، ربط الخارق هنا بالخيال الذي يخترق كل الحدود المعقولة والواقعية، لينقلها إلى اللاواقعية بفعل قوة الخيال.

هـ– الفنتازيا:

جاء تعريف هذا المصطلح في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (لسعيد علوش)، بأنها "عملية تشكيل تخيلات، لا تمتلك وجودا فعليا، ويستحيل تحقيقها"[4]، فالفنتازيا في هذا التعريف مرتبطة بالخَيَالْ أي بعيدة كل البعد عن الواقع، ولا يمكن في أي حال من الأحوال تحقيقها على

1 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، ص146.

2 المعجم المفضل في الأدب العربي، دار الكتب العلمية، محمد التونجي، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ، 1999م، ج1، ص391.

3 الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، كمال أبو ديب، ص08.

4 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، ص170.

أرض الواقع، وعليه فالفنتازية الأدبية هي" خيال أدبي يتحرر من منطلق الواقع والحقيقة في سرده، مبالغا في افتتان خيال القراء"[1].

و-السحري/المدهش:

لقد ارتبط هذا المصطلح بحكايات الجنيات التي يلعب فيها السحر والسحرة دورا كبيرا، حيث أنه " ثمة تداخل بين العالم المدهش الذي أساسه الجنايات والساحرات والعالم العجائبي الذي يتغذى على كل ما هو فوق طبيعي خارق من أشباح والعفاريت وجن...وكل ما من شأنه بث الرعب والخوف في نفس المتلقي"[2].

لنصل إلى القول بأنه مهما تعددت المصطلحات المتداخلة مع العجائبية والتي نجد منها: الفنتاستيك، الفنتازيا، العجيب، الخارق والسحري، إلا أنها تدخل جميعا في دائرة العجائبي، وتحمل طابع الحيرة والدهشة والتردد الذي يصيب الإنسان جراء مشاهدته أحداثا خارقة للعادة والواقع.

ثانيا: نشأة العجائبية :

سوف نتطرق في هذا العنصر إلى نشأة العجائبية، سواء كان هذا في الثقافة الغربية أو العربية، وسنحاول استجلاء بعض النصوص والكتابات التي تجلت فيها العجائبية.

1-عند الغرب :

تعود بدايات ظهور العجائبية إلى عصور موغلة في القدم، "حيث تعد ملحمة جلجامش البابلية أقدم الآثار وأجدرها بالتقدير"[3]، وهي شعر بطولي نسج من موضوعات السحر والعجائب"[4]، أما عند الإغريق فنجد أنهم كانوا مولعين بأن يحكموا عن خصائص الحيوان وغرائبه. فكثير من حكايات الحيوان الإغريقية يتصل بالتصورات التي عرفها البدائيون...

---

1 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش ، ص170.

2 العجائبية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان أنموذجا، الخامسة علاوي، منشورات منتوري قسنطينة، الجزائر، (د،ط)، 2006-2005، ص66.

3 الحكاية الخرافية، (نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها)، فردريش فون دير لاين، تر:نبيلة إبراهيم مراجعة: عزالدين إسماعيل، دار غريب، القاهرة، (د،ط)، (د،ت)، ص179.

4 المرجع نفسه، ص179.

فالإغريق يحكون كذلك عن القوة الغربية التي تمتلكها الأفاعي إلى درجة أنها تفهم لغة الحيوان، وأنها عرفت الشعب الذي يمنح الخلود"[1]، إضافة إلى الرومان الذين عرفوا بدورهم هذا اللون الأدبي، ويتجلى ذلك من خلال (حكاية الحب والروح) وقد رواها لنا أبوليوس الروماني *[2] في القرن الثاني بعد الميلاد مكونة جزءا من حكايات التحول التي كتبها"[3]. وعليه فالإغريق والرومان كانوا السباقين في معرفتهم للأدب العجائبي، وذلك من خلال حكايات التحول وكذا فهم الأفاعي للغة الحيوانات، وهذا كله فيه أمور عجيبة وغريبة.

في حين هناك من يرجع بدايات ظهور هذا النوع الأدبي إلى القرن 18م، وكان ذلك في فرنسا، وهذا ما ذهب إليه "محمد تنفو" في كتابه "النص العجائبي " وذلك بقوله: "بأن هذا الجنس نشأ في فرنسا عبر روايات عديدة أمثال الشيطان العاشق ل كازوت cazotte والمخطوطة التي عثر عليها في سرقسطة لبوتوكي ptoki، فضلا عن مساهمة نوديي nodier الذي اختبر طريقة حكايات السعار، وبلزاك bazlac وغوتية guatier وديما A .dumas وصاند g .sand الذين تأثروا بالألماني هوفمان"[4].

هذه الروايات المتعددة هي التي تدل على أن الأدب العجائبي عرف انتشارا واسعا في فرنسا. أما عبد الحي عباس فيقول: "بأن جل الدراسات والأبحاث تتفق في كون الفنتاستيك جنس أدبي ظهر في القرن التاسع عشر بفضل تطور علم النفس وعلم الفيزياء والكيمياء"[5]. وهذا يعني أن لتطور العلوم الطبيعية دورا كبيرا في ظهور العجائبي خلال القرن 19، وهذا النوع لم ينشأ من العدم ولكنه نشأ نتيجة عدة عوامل وهذا ما جاء به عبد الحي عباس بقوله: "لقد ظهر الفنتاستيك نتيجة عوامل متعددة ترجع إلى المفارقة بين الدين والعلم عندما فرضت الكنيسة سلطتها الدينية

1 الحكاية الخرافية، (نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها)، فردريش فون دير لاين، تر :نبيلة إبراهيم مراجعة: عزالدين إسماعيل ، ص180-181.

2 * ليس روماني وإنما كاتب لاتيني وخطيب أمازيغي نوميدي.

3 المرجع نفسه، ص184.

4 النص العجائبي، مائة ليلة وليلة أنموذجا، محمد تنفو، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص55-56.

5 بناءالمصطلح، (العجيب والغريب والخارق والفنتاستيك)،عبد الحي العباس، على الرابطwww.qaboqaosoyn.com تاريخ الزيارة: 26 فيفري 2020، التوقيت 20:00

في القرون الوسطى على المجتمع الغربي من خلال التفاسير الأسطورية التي تقدمها للموت والحياة الأخرية"[1].

ومن هذا نستنتج بأن الفنتاستيك جنس أدبي نشأ عن طريق الكنيسة التي فرضت سلطتها على الدول الغربية، وذلك من خلال تفسيرها للأمور تفسيرا أسطوريا خاصة الموت والحياة. ولم يقتصر هذا النوع على فرنسا فقط بل انتشر في باقي الدول الأوربية مثل روسيا التي وضعت فيها حكايات بوغورلكسكي، او ديفسكي، وغوغل"[2].

وبعد أن عرف انتشارا واسعا في أوربا امتد بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا اللاتينية واليابان، ويتجلى ذلك من خلال "الدور الذي قام به كل من ماتسون – وكينغ من (الولايات المتحدة الأمريكية) وخورخي لويس بورخيص، وخوليو كورتزار من (أمريكا اللاتينية) وتانيزاك وأكاتوغاوا (من اليابان)"[3]، فجهود هؤلاء كان لها دور في ظهور هذا الأدب وإخراجه إلى العيان والمساهمة في نشره وبلورته. وعليه فالعجائبية عند الغرب ازدهرت بشكل كبير في القرن التاسع عشر، وذلك من خلال ظهور العديد من الكتاب الذين أبدعوا الكثير من المؤلفات العجائبية.

2- عند العرب :

تضاربت الآراء حول نشأة العجائبية في الثقافة العربية، إذ أنه لكل باحث أو ناقد وجهة نظر خاصة به، حيث أن هناك من يرى بأن أول من استعمل هذا المصطلح في المجال النقدي هو "أبو عثمان الجاحظ"، وذلك أثناء حديثه عن ترجمة الشعر والشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل، ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب"[4].

من خلال هذا القول يتضح بأنه "يجعل التعجب من أهم خصائص الشعر، وإن كان الجاحظ لم يبين مصدر هذا العجيب، فإن ابن سينا (ت 428) قد أبان ذلك حينما أكد التعجيب

1 بناءالمصطلح، (العجيب والغريب والخارق والفنتاستيك)،عبد الحي العباس، على الرابطwww.qaboqaosoyn.com .

2 النص العجائبي، مائة ليلة وليلة أنموذجا، محمد تنفو، ص56.

3 نفس المرجع، ص56.

4 الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 2003م – 1424هـ، مج: 1، ص53.

هو مما يثير الانفعالات التخيلية أو يرفض الإذعان على المتلقي"[1]، فالجاحظ في هذا الموضع ربط التعجيب بالشعر وذلك من خلال جعله من أهم الخصائص التي يقوم عليها الشعر أما ابن سينا فربط العجيب بالتخييل والانفعال.

في حين هناك من ينحو منحاً مختلفا ويعتبر أن العجائبية تعد من المصطلحات الحديثة، وهذا ما ذهب إليه "عبد المجيد بدراوي" إذ يعتبر مصطلح العجائبية من المصطلحات المستحدثة في النقد العربي، وهو يختلف باختلاف الثقافات والمرجعيات والرؤى، وهذا أحدث بلبلة من الغموض والالتباس لدى الدارسين والنقاد، إذ نجده يتماشى مع الخارق والعجيب والمدهش واللامعقول والفنتازي والأسطوري والغريب وغير ذلك من المصطلحات التي تسبح في هذا الفلك"[2].

وعليه فحداثة هذا المصطلح هي التي جعلته يتميز بصفة الزئبقية والمطاطة، إذ نجده يتداخل مع كثير من المصطلحات منها: الخارق والعجيب والمدهش واللامعقول، وهذا الاختلاف نابع من اختلاف الثقافات وتعددها وكذلك اختلاف الرؤى، فهو مصطلح مطاطي يتغير بتغير العصور والثقافات فيها ويعتبر في عصر ما من باب العجيب قد تزال عنه هذه الصفة فيفقدها في عصر موالٍ"[3].

وأقرت الباحثة باية غيوب "بأن التراث العربي زاخر بالنصوص العجائبية إلا أن هذه النصوص لم تحض بالدراسات الكافية وذلك بقولها :"فرغم سخاء المادة المعجمية لكلمة "العجائبي" وتجلياتها في النصوص العربية الحكائية الخرافية في الأدب الشعبي والفصيح، إلا أنه لم يحظ بالدراسة والعناية النقدية التي تنظر له وتحدد له مفاهيمه السردية والفنية على مستوى النقد القديم.

1 العجائبية في أدب الرحلات، الخامسة علاوي، ص34.

2 المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة، حكايات السندباد البحري أنموذجا، عبد المجيد بدراوي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مجلة كلية الآداب واللغات، ع: 13، جوان 2013، ص275.

3 الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة ل: غابرييل غارسيا ماركيز، باية غيوب، أنماطها، مواصفاتها، أبعادها، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، (د،ط)، 2012، ص20.

أما حديثا فقد اهتم الدارسون بالعجائبي مستفيدين من الدراسات الغربية خاصة عند تودوروف"[1]، فمن هذا القول نخلص بأن النقد العربي القديم لم يهتم بدراسة العجائبي، أما حديثا فقد اهتم الدارسون بدراسته مستفيدين في ذلك من الدراسات الغربية.

ومن بين الحكايات التي تحمل في طياتها العجيب حكايات ألف ليلة وليلة، التي كانت بطلتها "شهرزاد" كانت لا تحكي أي شيء كان، إنما تحرص على أن تدرج حكاياتها ضمن مقولة الخارق إذ لا مناص من أن تكون الحكاية عجيبة وغريبة، وإلا فإنها لن تروي"[2]، وقد جاء وصف هذه الشخصية في كتاب "علي عشري "بأنها "تلك الحكيمة المثقفة الواسعة الأفق، التي عرفت كيف تقوِم طغيان شهريار بعذب أحاديثها وعجب قصصها "[3].

إضافة إلى رسالة "التوابع والزوابع لابن شهد الأندلسي" و"منامات ركن الدين الوهراني" الذي تجري أحداثه في عالم النوم واللاوعي، "وقد اتخذ الوهراني من منامه قناعا لنقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية في عصره بأسلوب تهكمي ساخر يعتمد على الحوار والمشاهدة واللوحات واللقطات المتتالية التي تتضمن أحداثا تجري في فضاء عجائبي غرائبي حيث يتلاشى فيه الزمن وتتشضى الصور"[4].

ومن هنا يمكننا القول أن هناك تضاربات حول مفهوم نشأة العجائبية، فمنهم من يرى بأنها وليدة الإغريق والرومان وتجلى ذلك في الأساطير والملاحم السائدة في ذلك العصر، ومنهم من قال بانها ولدت مع الروايات التي ظهرت في فرنسا خلال القرن 18م مثل الشيطان العاشق الكازوت، أما عند العرب فهناك من يرجع ظهورها إلى الجاحظ من خلال ترجمته للشعر، وهناك من يعتبرها من المصطلحات المستحدثة مثل "عبد المجيد بدراوي".

---

1 المرجع السابق، ص20.

2 العين والإبرة، عبد الفتاح كليطو، دراسة في ألف ليلة وليلة، تر: مصطفى النحال، مراجعة: محمد برادة، الفنك للترجمة العربية، المغرب، (د،ط)، 1996م، ص16.

3 استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، (د،ط)، 1417هـ- 1997م، ص163.

4 المنامات لون نثري في الأدب العربي، علاء الدين محمد رشيد، دراسة في المنام الكبير للوهراني (ت 575هـ)، مجلة جامعة تكريت للعلوم ،مج: 19، ع: 07، تموز 2012م، ص323.

ثالثا: تمظهرات العجائبية في الأدب العربي :

تمظهرت العجائبية في الأدب العربي بشكل كبير فقد خاض أدباءنا في العجيب، واصطبغت به الأعمال الأدبية القديمة والحديثة، كالحكاية الخرافية والسيرة الشعبية والرواية والمسرح وسنحاول ان نشير الى كل من ذلك ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو جنس السيرة الشعبية.

1- الحكاية الخرافية:

تعتبر الحكاية الخرافية جنس أدبي يندرج ضمن الحكاية الشعبية، وهذا ما ورد ذكره في كتاب "الحكاية الشعبية في منطقة بجاية" فتعريف الحكاية الشعبية باعتبارها "شكلا من الأشكال الأدبية الأكثر قدما، بحيث نجدها الأصل في الأنواع الأدبية الأخرى كالخرافة والأسطورة، وكذا القصة"[1]، من خلال هذا التعريف يتضح بأن الحكاية الخرافية من أقدم الأشكال الأدبية، إذ هي أصل الخرافة والقصة والأسطورة، بالإضافة إلى أنها "لا تستمد حوادثها من الواقع الذي نعيشه"[2].

بل هي قائمة على حوادث خيالية لا وجود لها على أرض الواقع إذ تقوم على التخريف الذي يعني "الابتعاد عن الواقع الحقيقي والملموس وما فيه من مشاكل وصعوبات، والانتقال إلى عالم الخيال والتمني والغرائب والعجائب"[3]. ومن هذا نخلص إلى أن الحكاية الخرافية تميل إلى الأحداث الغريبة والعجيبة "المتمثلة في قوى غير مرئية كالجن والمردة والغيلان... والحيوانات الخرافية "[4].

ومن المعروف أنه لكل حكاية بطل، إذ يعد من أهم الشخصيات الحكائية و"هو الشخص القوي الشجاع الخارق بأفعاله"[5]، حيث يقوم بأفعال خيالية وخارقة للعادة مثل "إحضار الدجاجة التي تبيض بيضات من ذهب والرحى التي ترحي لوحدها"[6]، وكان من بين الحكايات الخرافية "حكاية بقرة اليتامى" التي يتمثل فيها العجائبي من خلال تحول الفتى إلى تيس بعدما شرب الماء

---

1 الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، دراسة ونصوص، حورية بن سالم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، (د.ت)، ص07.

2 أشكال التعبير في الأدب العربي الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة،1974، ص75.

3 الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، حورية بن سالم، دراسة ونصوص، ص82.

4 المرجع السابق، ص82.

5 بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة، المصطفى مويقن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2005، ص249.

6 الحكاية الشعبية، حورية بن سالم، ص84.

من الترعة، وكذلك حكاية عشبه خضار، ولونجة بنت الغول.. ومن هذا نستخلص بأن العجائبية تجلت بشكل كبير في الخرافة، وذلك لأنها تبتعد في أحداثها عن الواقع لتغوص في الخيال والأحداث اللامعقولة.

2- السيرة الشعبية:

تعد السيرة الشعبية من بين القصص المستقاة من التراث العربي، إذ تحكي عن شهامة العربي وقوته وأصالته، وهذا يكون بوساطة الحكواتي، وعادة ما نجد السيرة "تكتنفها ملامح أسطورية ليست وليدة المبالغة في الخيال فقط وإنما التصقت بها شوائب قديمة ومن روايات شعبية، وهذه الملامح الأسطورية تباين المبالغة في الآراء والأوهام والتفسيرات غير المنطقية لبعض الظواهر والأعمال، وهناك شواهد عديدة عن أناس يحيون قرونا عديدة، وعن الفأل والحدس والطيرة والحسد والعين، عن أرض السحالي والعفاريت، وكهوف الساحرات اللائي يأتين بكل غريب عجيب"[1]، فالسيرة قائمة بشكل كبير على الأسطورة، وذلك من خلال ما يتميز به أبطالها من قوة خارقة تفوق الحد المعقول، وقد حفل الأدب العربي بالعديد من السير، أشهرها سيرة بني هلال، سيرة عنترة، وسيرة سيف بن ذي يزن، وهذه السير لها أصولها التاريخية ومعظم أبطالها شخصيات تاريخية واقعية، ولكن القصاص الشعبي أضفى عليهم ملامح ملحمية، جعلت منهم أبطال أسطوريين، يتصل معظمهم بالجن ويؤاخيه، كما في سيرة سيف بن ذي يزن وهي أحفل سيرنا بالعجائب والأساطير"[2]. فهذه السيرة تتجلى فيها العجائبية حيث "تنقلنا إلى عالم زاخر بالسحرة والجن"[3].

سوف نقف عند مقطع فيه العجيب من سيرة "سيف بن ذي يزن"، "كان ذلك في اليوم الحادي والستين وهو سائر بالبراري كأنه مذهول أو مجنون نظر بين يديه فرأى جبلين على يمينه جبل أبيض وعن يساره جبل أحمر فسار حتى قاربهما فرأى بينهما راية مقامة إلى جهة الأحمر الذي على يساره ونظر إلى الجبل الذي على يمينه فرأى قصرا عاليا وهو من أعجب العجائب قام عن التراب وتعلق بأكتاف الغمام والسحاب وبين الجبلين بحر عجاج حائل بين هذين الجبلين وهو

---

1 ملحمة العرب، سيرة عنترة بن شداد العبسي، مع دراسة مقارنة السير في الملاحم العالمية، رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د،ت)، ص23.

2 استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، ص167.

3 البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، سعيد يقطين، قال الراوي، ط1، 1997، ص179.

عميق وله موج يذهل الناظر إليه فطلع إلى الجبل الأحمر وهو على يساره لكون الجيل الثاني لا يمكنه الوصول إليه بسبب ذلك البحر الذي بينه وبينه فلما صار في الجبل الثاني فرأى عليه قصرا عاليا في وسط الجبل عمودا مثل الذي في الحصن والعمودان من بعضهما متقاربان وبالكتابة مرسومان فتعجب الملك سيف غاية التعجب"[1]، فالعجائبية في هذه السيرة تتمثل في تلك الفضاءات التي ظهرت لسيف بن ذي يزن، إذ أصابته الدهشة والحيرة للخوارق التي رآها، وعليه فالعجائبي يظهر في الأماكن المشكلة الفضاءات المفتوحة، فتظهر الشخصيات العجيبة وتمارس الأفعال العجيبة من دون أن يقيدها سقف أو جدار، وهي بهذا تبحث عن الحرية في ممارستها هذه الأفعال"[2]، فالأماكن المفتوحة في السيرة هي التي مكنت العجائبية من الظهور، وجعلت الشخصيات تمارس أفعالها العجيبة من دون أي تقييد أو سيطرة.

وفي الأخير نخلص إلى القول بأن السيرة الشعبية قائمة بشكل كبير على الأساطير والملاحم، التي تجعلها تتسم بالعجائبية من خلال وجود حوادث خارقة للعادة وكذا شخصيات تتميز بالقوة اللامحدودة وكذا اتصالها بالجن وغيرها.

3- الرواية:

لقد خاض الروائيون العرب في العجائبية، إذ أصبحت الرواية تتناول العجائبية من خلال الأحداث الغريبة والعجيبة، وذلك لشد انتباه المتلقي إليها، "ولقد تم توظيف العجائبي منذ النصوص الأولى، حتى الآن، بأشكال وطرائف مختلفة جذريا، لكن الملاحظ أن بعض الروائيين العرب لجؤا إلى التلوين بالعجائبي ضمن تأليفهم الروائي، وذلك لرغبتهم في التجريب والتنويع (نجيب محفوظ، الطاهر وطار، الميلود شغموم) فيما هناك روائيون، منهم سليم بركات بامتياز، اختاروا العجائبي خطابا فنيا لرؤية العالم ورسمه بالتحولات والمسوخ"[3].

فهذا اللون الجديد جاء به الروائيون للتخلص من الطابع السردي القديم الذي أصبحت فيه الرواية حبيسة الواقعية وتقرير الحقائق، فلجؤوا إلى هذا النوع من أجل التغيير والتجديد، لذلك كان

1 الفضاء العجيب، نبية الفضاء في سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مجلة الثقافة الشعبية، صفاء ذياب، ع :33، ربيع 2016م، السنة 09، ص32.

2 المرجع نفسه، صص 31-32.

3 بنيات العجائبي في الرواية العربية، شعيب حليفي، مجلة فصول، مج: 16، ع :03، ج :01، شتاء، 1997، ص13.

للرواية العربية "خصوصيتها أيضا ببناء العجائبي في الشخصية حيث تنمو بدورها داخل الواقعي وتتفاعل معه بالصراع مستثمرة وظائف الرغبة والقدرة والمعرفة وسلطة اللاشعور والتحول والامتساخ وتدخل الغيب لبناء أفعال عجائبية تؤسس لمصائر وأقدار تحير وتدهش ولكنها تخلق واقعا ثانيا جديرا بالانتباه"[1]، وهذا ما يبين أن العجائبية لا تتجسد فقط في الأحداث، بل تتمثل أيضا في الشخصية وذلك من خلال الأوصاف التي تظهر عليها، أو عن طريق التحول والاختفاء، وهذا ما نجده في شخصيات سليم بركات "حيث يحققون الفعل العجائبي بشكل تام، فهم يولدون ويشيخون في اليوم نفسه، واللامرئيون أو الشخص ذو اليد الريشة"[2]. وعليه فالرواية العربية استدعت العجائبية لتكسير نمطية السرد العربي القديم وإخراجه من بوتقة التقريرية والتسجيلية، وصولا إلى شكل روائي جديد قائم على التخييل والعجائبية.

4- المسرح:

فهو أداة التعبير عن مشاكل وهموم الشعب، وذلك عن طريق التمثيل، "ويعود أصل كلمة المسرح théatre للكلمة اليونانية theatron التي تعني مكان الفرجة، أو المشاهدة"[3]. ويرى علماء الأنثروبولوجيا والمؤرخون المسرحيون أن "أصول الظاهرة المسرحية تعود لتأثير الأسطورة على الإنسان والممارسات البدائية لطقوس الرقص، والأداء الإيمائي في الاحتفالات العشائرية، وبالذات طقوس الخصب، والصيد، والاحتفالات الأخرى المتعلقة

بالسيطرة على مظاهر الطبيعة، والتواصل معها وتفسير وتبرير المجهول والغامض"[4]، فالمسرح في أصوله يعود إلى تأثره بالعديد من الأساطير، وكما هو معروف على الأساطير أنها تقوم على الآلهة والقوى الخارقة الصادرة عن الأبطال، والأسطورة هي النواة التي خرجت من طياتها العجائبية، ومن بين الأعمال المسرحية العجيبة مسرحية "كل واحد وحكمو "لولد عبد الرحمن كاكي"، التي تتحدث عن العادات والتقاليد الجزائرية، والحديث عن الجوانب الغيبية التي نقلت مسار المسرحية من المعقول إلى عالم الجنون والأرواح الخفية حيث تظهر على المسرح شخصيات

1 بنيات العجائبي في الرواية العربية، شعيب حليفي، ص116.

2 المرجع نفسه، ص117.

3 المرجع نفسه، ص117.

4 الدرما والفرجة المسرحية، دار الوفاء، أحمد إبراهيم، الإسكندرية، ط1، 2006، ص37.

من عالم الجنون ومن بين يديها (الجوهر) المخطوفة، ويذهب شخص (الحاج جبور) إلى عالم الجان ليعيد عروسته، ولكن اختيار البنت للموت هو انتصار لها، وهي التي أرادت ذلك، وحكمت عدالة العالم العلوي بظلم (الحاج جبور) وجبروته وردت عليه دعواه، وبقيت الجوهر) في عالم كله سحر طهارة ونبل"[1]، والمسرحية عالجت العادات والتقاليد البالية التي آمن بها الناس، مثل السحر والشعوذة التي سيطرت على عقول الكثير منهم.

وعليه فالمسرح الجزائري عالج مختلف المواضيع التي يعيشها المجتمع الجزائري، عبر مختلف الحقبات ولكن على غير المعتاد، وذلك بالاعتماد على الأمور العجيبة والغريبة.

المبحث الثاني؛ التعريف بالكاتب وبمُؤَلَّفِه:

أولا: التعريف بابن الفكون.

1-نشأته:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحي الفكون التميمي من قبائل تميم العربية ولد عام 988هـ، 1580م بقسنطينة وهو اليوم الذي مات فيه جده عبد الكريم. أما والده فهو أبو عبد الله محمد، خطيب الجامع الأعظم كان فقيها صوفيا، توفي بعد رجوعه من الحج في أواخر محرم عام 1045 هـ، في إحدى قرى مصر وتسمى المويلح[2].

وأما أمه فهي عربية وزيادة إلى ذلك فهي تنتمي إلى النسب الشريف فقد ذكر الفكون، في منشور الهداية، فتنة وقعت بقسنطينة وذكر أن جده للأم وكان مزوار الشرفاء إذ ذاك، وقائد جيش البلد، أي أن جده لأمه كان شريفا[3]. وقد ذكر أن اسمه أبي عبد الله محمد قاسم الشريف وعده من الذين تعاطوا المنصب الشرعي لادعائهم العلم[4].

1 المسرح في الجزائر، صالح لمباركية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط2، 2007م، ص251.

2 منشور الهداية ،الفكون ، ص52.

3 منشور الهداية ،الفكون ، ص49.

4 منشور الهداية ،الفكون ، ص68.

و شيخنا المترجم له هو أول أولاد أبيه محمد فقد ذكر الشيخ أنه كان دعوة جده وذلك أنه لما كان في آخر مرضه وكانت والدته حاملا به وكانت تعز على جده كثيرا، فسألته الدعاء فأخبرته، أنه قال لها جعل الله عمارة الدار منك[1].

ولم يذكر لنا الفكون إلا القليل النادر حول حياته الشخصية من ذلك أنه تزوج من ابنة حميدة بن حسين الغربي وأن هذه الزوجة بقت عنده ثلاث سنوات ثم طلقها لأمور لا يمكن إبقاؤها مع ذلك[2]. أو سكناه الجديدة التي بناها قبلي الجامع الأعظم عام 1022 هـ، وفراره من سكن الدار العليا لما حصل له من الضيق والتضييق من بعض الأقاربه[3].

2-عائلته ومكانته فيها :

أ-عائلته:

تعتبر عائلة الفكون من العائلات العريقة بقسنطينة، بيت علم وأدب ورئاسة ودين، توارث أبناؤها المجد والسؤدد منذ دهر طويل وقرون متتابعة بالجزائر. لكن أحد المؤرخين وهو عبد القادر الراشدي في كتابه عقد اللآلئ المستضيئة لنفي ظلام التلبيس) والذي توفي سنة 1194هـ 1780م، ذكر أن أصل عائلة الفكون يعود إلى بلدة فكونة في جبل أوراس[4]، هذا ما يرفضه أبناء الأسرة بشدة ويقولون أن انتسابهم إلى هذه القرية بسبب استقرار أحد أجدادهم بها، فقد جاء أربعة إخوة من جزيرة العربية واستقروا بالمغرب الأوسط الأول عبد الرحمن وقد استقر بفكونة بأوراس والثاني محي الدين بعين الصفراء ويقال أن البيض سيدي الشيخ سميت عليه، أما محمد فقد استقر بقسنطينة وتوفي الرشيد مباشرة بعد وصوله[5].

ولعل أقدم شخصية من أسرة الفكون ذكرتها المصادر التاريخية هي شخصية حسن بن علي الفكون القسنطيني الشيخ الفقيه الكاتب الأديب البارع، من الأدباء الذين تستطرف أخبارهم

---

1 منشور الهداية، الفكون، صص 51-52.

2 منشور الهداية، الفكون، ص76.

3 منشور الهداية، الفكون، صص 202-203.

4 نفخ الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، سليمان الصيد، دون ذكر دار الطبع، ط1، 1994، ص21.

5 أدلى بهذه المعلومات عميد أسرة الفكون الشيخ حسونة الفكون لجميلة معاشي أوردها في أطروحة ماجستير بعنوان، (الأسرات المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، في 10 هـ - 13 هـ/ 16م - 19م).

وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر، رحل إلى مراكش وامتدح الخليفة عبد المؤمن وله رحلة نظمها في سفره من مراكش إلى قسنطينة ووافق في مقامه طلوع الخليفة لزيارة قبر الإمام المهدي وهو محبوب عندهم وهو من الفضلاء النبهاء[1].

أما الشخصية الثانية المشهورة من عائلة الفكون فهو يحي الفكون والد جد الشيخ الفكون الحفيد الذي انتقل إلى تونس لواقعة بل لوقائع فاستعظم سكناه ببلد يخرج إليها الأمر دون ما يخرج منها، فصاهر الشيخ الزنديوي الذي كان حيا عام 940 ه واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم (الزيتونة) ثم استقل بالإمامة وتزوج بها حفيدة الشيخ البرزلي ورزق منها ببنت، وقد توفي في الحملة التي قام بها شارلكان حامي السلطان الحفصي الحسن، ضد خير الدين بتونس عام 941ه، وقد قتل داخل المسجد وهو يقرأ صحيح البخاري وقتل معه الشيخ الزنديوي أيضا[2].

ويرى بعض المؤرخين أن سكان قسنطينة انقسموا فيما يتعلق بدخول الأتراك إلى المدينة الفريقين، فريق مساند بزعامة عائلة الفكون وفريق معارض بزعامة عائلة عبد المؤمن، وقد ساهم شيخ الإسلام عبد المؤمن في تأخير دخول الترك إلى قسنطينة، مما جعلهم يتصلون بعبد الكريم الفكون لحد تسهيل دخولهم، فتمركزوا بسطح المنصورة وأجروا مفاوضات مع عبد المؤمن انتهت بالفشل[3].

ذكرنا أن قاسما بن يحي الفكون تولى خطة القضاء أما الفكون الجد فقد تولى الخطابة بالجامع الأعظم، فقد رفعت شكوى ضد الإمام أبو محمد بركات، جد أبي عبد إله بن نعمون، حيث كان يعاني سلس البول، فعزله القاضي قاسم الفكون وعين بدله الفكون الجد[4].

ومن الأدوار السياسية تدخل محمد الفكون الذي توفي عام 1841 وهو آخر شيوخ الإسلام في عهد شاكر باي الذي أراد الاستقلال بدوره عن السلطات المركزية، وأراد التحصن ببيت الفكون

1 عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو العباس الغبريني، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص280 دون تاريخ.

2 منشور الهداية، الفكون، ص42.

3 الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق، معاشي جميلة، ص99.

4 منشور الهداية، الفكون، ص102.

لكن هذا الأخير سلمه إلى الباي الجديد وتم قتله[1]، كما نجح هذا الشيخ بالتصدي للثورة الانكشارية بزعامة أحمد شاوش ضد الباي بن يوسف عام 1809 فقد أرسل إلى الباشا في العاصمة يخبره بأن أحمد شاوش قد قتل الباي وهو يريد مهاجمة الجزائر، فطلب منه الباشا قتل كل الإنكشارية، لكن شيخ الإسلام رفض ودعاه إلى استعطافه والعفو عنه، وهو ما فعلته السلطات المركزية[2].

ب-مكانة الفكون:

على ضوء ما ذكرناه يمكننا أن نقرر أن الفكون الحفيد كان أول من تولى زعامة ركب الحج واستحق لقب شيخ الإسلام [3] ويتحدث فايسات عن أن الفكون الحفيد وقد عم دور عائلة الفكون بعد الثورة المذكورة وجرت مراسلات بين الباشا في الجزائر والفكون بقسنطينة ونورد هذه الرسائل لأهميتها:

- الرسالة الأولى، من الباشا إلى الفكون وسكان قسنطينة: " الحمد لله إلى مقام العلم المشهور الخير الصبور معدن الفضل المصون، سيدي الشيخ ابن الفكون أما بعد: السلام عليكم والسؤال الكثير عنكم ومن انتمى إليكم، وانتسب إلى جانبكم فقد بلغنا أنك سرت إلى أهل قسنطينة بالتدبير المفيد والرأي الصائب الرشيد، فكان ذلك حقن دمائهم وزوال الخلاف والهرج بينهم فجزاك الله بأحسن الجزاء، وضاعف لك الخير والثناء وما أنت إلى حبيبنا وصديقنا، من كونك تسعى إلى الخير والصلاح وترشد العباد والنجاح ثم نلتمس منكم دعاء الخير في كل خطب وزمان كل ركب، وكن ببال أبنائك الترك والسلام "[4].

- الرسالة الثانية: إلى سكان قسنطينة الحمد لله مكتوبنا هذا يتصل بيد الناس بقسنطينة الخاص والعام، والسؤال عنكم وبعد، فإنكم عملتم "مليح"، وتدبير لائق صحيح كونكم سلمتم بلد قسنطينة إلى الترك من غير ارتياب ولا شك مراعاة للدولة العثمانية، وطاعة لتك الحضرة العلية، وآثرتم العافية على الفتنة وحقن الدماء واجتناب المشقة فنعم ما صنعتم وخير ما عملتم إذ نحن

---

1 فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، محمد الصالح بن العنتري ، الدكتور يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر ،1438، ص70.

2 المرجع السابق، صص 59-60.

3 تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، أنظر خليل اينا لجيك، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

4 فريدة منسية، ابن العنتري، صص 45-46.

وأنتم في حكم الدولة المذكورة، وفي طاعة تلك الحضرة المبرورة، وعليكم بإتباع الشيخ بن الفكون والانقياد إلى رأيه المصون وما أنتم إلا أولادنا وإلينا والسلام[1].

وبعد وفاة الشيخ عبد الكريم الحفيد خلفه ابنه محمد أميرا على ركب الحج، متوَلياً لوظائف والده، وقد ثُبِّت على وظائف والده عام 1074 هـ[2]. تمتعت عائلة الفكون بنفوذ كبير خاصة زمن الحفيد من بين هذه الامتيازات:

1- مهمة توصيل قافلة الحجاج مع الحقوق المطلقة لكل الأشخاص المشكلين لها، والكسب بشتى أنواعه الناتج عن هذه المهمة.

2- إدارة أموال المسجد الكبير البطحاء دون مراقبة.

3- الإعفاء من الضرائب وكل التكاليف لأموالهم والحبوس وممتلكاتهم الحضرية والريفية، منازل مخابز، حمامات، مطاحن، ورشات النسيج، محلات، بساتين... الخ.

4-الإعفاء من المهام والأعمال المضجرة وحقوق الدخول والخروج، والطعام والمسكن للأفراد والموظفين، كل المزايا التي يستفيد منها خدمهم، مدراء أعمالهم، رعاة خماسين.

5- هبات واقطاع من العقارات.

6-حقوق العشر على الزرابي والخشب الآتي من الأوراس بقسنطينة.

7- حق قبض رسوم الانتفاع على سوق الخضر والفواكه.

8- حق اللجوء للمتابعين من قبل السلطة للأماكن التابعة لآل الفكون[3]

3-شيوخه:

تلقى عبد الكريم الفكون مختلف علوم عصره على أيدي شيوخ وأساتذة جلة، فقد قرأ على يد سليمان القشي، وعبد العزيز النفاتي الذي تلقى عند الحساب والفرائض، ومحمد الفاسي المغربي الذي قرأ عليه الاصطرلاب وبعض العلوم الأخرى، ومحمد التواتي المغربي الذي تلقى عنه التفسير وشرح صحيح ومسلم، ومحمد بن راشد الزواوي الذي أفاده في النحو.

---

1 فريدة منسية، ابن العنتري، ص46.

2 فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون رقم ط، 1990، ص98

3 Mercier, élévation de la famille EL FAGGOUN p227.

وكان من نتيجة هذا التنوع في شيوخ الفكون أن أدرك ثقافة واسعة، وألم على علوم مختلفة في الشريعة والحساب والأدب واللغة بعامة، ولكن الإدراك الذي تحدث عنه الدارسون لسيرته لم يأته عرضة وإنما كان استجابته النفسية الطموح، ولرغبته في التفوق والتطور اليومي في ثقافته وتنميتها بشتى الوسائل، منها مواظبته على المطالعة وتصفح الكتب في مكتبة عائلته يوميا ولساعات متواصلة أحيانا.

وبعد بلوغه درجة علمية ومعرفية واسعتين تأتى له الحصول على وظيفة التدريس في الجامع الكبير بقسنطينة بالنيابة عن والده أول الأمر، ثم استقل بها بعد وفاة الوالد وبزاوية العائلة وفي مصلى بيته"[1]، وقد سجل عبد الكريم الفكون نبذة عن ذكائه وعصاميته وسرعة بديهته في شبه حديث عن السيرة الذاتية له فقال: " كنت ذا نفس أبية، ومع صغر سني لا أرضى أن أكون خالي المعرفة ما عرفه غيري"[2].

4-تلامذته:

إن عالما هذا شأنه اجتهاده وتعمقه في العقيدة واللغة، لا شك في أنه يذر وراءه العشرات من الطلبة والتلاميذ، يكون كثير منهم في مستوى ما تلقاه من معارف علوم، ويكون بعضهم الآخر نائية عن اللحاق بمصاف المتقدمين البقاء منهم، ولكنهم في النهاية

يظلون تابعين لأستاذهم الذي بث فيهم العزائم، وزرع فيهم الروح، وهم مدينون له بكل ما وصلوا إليه من مجد وشهرة، ومن طلبته: أبو مهدي عيسى الثعالبي. أبو سالم العياشي المغربي. يحيى الشاوي. بركات بن باديس. أحمد بن سيدي عمار. محمد وارث الهاروني. محمد البهلولي. أحمد بن ثلجون. علي بن عثمان بن الشريف، وغيرهم كثير.

5- آثاره:

يمضي المرء إلى دار البقاء بعد عمر طويل أو قصير، ولا يفضل إلا ما أنتج لمن يأتي بعدي ولعل أن أكبر الندم أن ينفق الأديب عمره في اللهو ومضيعة الوقت، وأن ما يذره من خلفه

1 منشور الهداية ،الفكون ، ص11.

2 منشور الهداية ،الفكون ، ص11. ويوضح الدكتور سعد الله سبب هذا الافتخار بالنفس فيذكر أن الفلاري كان يتحداه بالرغم من صغر سنه.

هو الذي يكتب له الذكر، ويؤرخ له ولجيله من نظرائه، وقد أدرك الشيخ عبد الكريم ذلك، فلم تلهه مباهج الدنيا ولا زخرفة الحياة، وإنما كان يعلم أن رحيله آت لا ريب فيه، فلذلك كتب العديد من المؤلفات التي تشهد على وجوده، وتتحدث في جلاء عن سيرته وحياته، ومن تلكم المؤلفات: شرح على أرجوزة المكودي في ال[1]. منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية. سربال الردة (مخصص للقراءات القرآنية). الدرر في شرح المختصر (مختصر عبد الرحمن الأخضري). شرح البسط والتعريف في علم التصريف. فتح المولى في شرح شواهد. شرح لامية الجمل النحوية للمجراد السلاوي (– 778هـ). محدد السنان في نحور إخوان الدخان[2]. فتح المالك في شرح ألفية ابن مالك. شفاء الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض نظم في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه والتابعين والأولياء. ديوان شعر. وبعد كل هذه الجهود والعمل الدؤوب توفاه الله إليه عشية الخميس 27 ذي الحجة من عام 1073 هـ (3 أوت 1663 م).

6-آراء الآخرين فيه:

إن من بين الذين أفاضوا في الحديث عن الفكون أكثر هم تلامذته بالدرجة الأولى، ولاسيما النجباء منهم والأوفياء له، لأن ثمة طلبة يتمنون على الله أن يرحل الأستاذ سريعا إلى العالم الأخروي ليخلو لهم الجو، وتلك شيمة القراء من البشر، ولكن هذا التصرف المشين معدود على الأصابع شاد، وقد نبهنا إليه ليجتنبه الفضلاء من طلبتنا وينبذوه بعيدا. والواقع أن التاريخ لا يذكر إطلاقا مثل هؤلاء، وإنما يركز على من كانوا أقرب إلى أستاذ هم وشيخهم، وينقل عنهم جانبا من إشادتهم بمن علمهم ووجههم مثلما هو الشأن هنا، ومن الأدباء والكتاب العباقرة الذين نوهوا بالفكون، يأتي اسم أحمد المقري (– 1041 هـ) الذي يقول عنه: "عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها، لالة العلماء، ووارث المجد كابرا عن كابر، المؤلف سيدي الشيخ عبد الكريم

1 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر – بيروت– د.ت تعريف1985 م– ص

2 الّف في هذا المنحى نحو الثلاثين تأليفا بين محلّل ومحرم، والميل إلى التوقيف، محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية– ص310. وقد ورد عنوان هذا الكتاب عند عبد الكريم الفكون، منشور الهداية– ص39.

الفكون (...) عالم المغرب الأوسط غير مدافع، وله سلف علماء ذوو شهرة، ولهم في الأدب الياء المديد"[1]

ثانيا: التعريف بالمُؤَلَف "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"

1-النسخة المُعتمدة:

يعتبر هذا الكتاب أهم تأليف للشيخ عبد الكريم لأنه يعطينا نظرة جلية عن الحالة التي كانت تعيشها قسنطينة خلال فترة هامة من تاريخها وهي الفترة العثمانية في كل نواحيها السياسية والاجتماعية والثقافية.

وقد ألف منشور الهداية على فترات في شكل مذكرات ومهما كان الأمر فإنه قد انتهى منه بعد سنة 1045 هـ / 1635 م وهي السنة التي توفي فيها والده بالمويلح أثناء منصرفه من الحج، ثم أنه ألف كتابا في علم الصرف هو " فتح اللطيف" سنة 1048هـ وذكر فيه أنه ألف منشور الهداية، وأن هذا الكتاب قد جلب غليه نقمة البعض ورمقته العيون بالبغض من أجله ومن هذين التاريخين نعرف أن الفكون انتهى من هذا الكتاب بين 1045 – 1048هـ[2].

ويبدو أن الفكون أخذ في تسجيل مذكراته خلال العشرينات من القرن 11 والدليل على ذلك أنه أخ لمرض خطير حل به وألزمه الفراش سنة 1025 هـ (1616م) وقد دام معه المرض 3 سنوات وبدأ يخف عنه خلال سنة 1029 / 1028 هـ أشار إلى زيارة المولى علي قسنطينة قادما من السلطة الأحمدية وقد تولى السلطان أحمد العثماني بين (1013 – 4027 هـ) (1604 / 1617م) فتكون الزيارة المذكرة قد تمت خلال هذه الفترة، ثم إن الفكون استعار من مراسلته مع أحمد المقري أبياتا ضمنها منشور الهداية والمراسلة وقعت في عام 1038 هـ – والمعروف أن المقري توفي عام 1041هـ[3].

---

1 – نفح الطيب من غصن الأندلسي الطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 1419هـ ،1998م، ج3 ص 98.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص14.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ص15.

إذن هدف التأليف واضح وهو تبيان الحالة التي وصل إليها العلم الذي أصبح غاية

في الكساد وتراجع مكانة العلماء في مقابل ارتفاع مكان أعلام الزندقة والطائفة البدعية فقلب الشيخ يتقطع ألما وحصرة على هذه الحالة، غيرة على أولياء الصوفية فهو بذلك تحذير من الطائفتين البدعيتين في كل زمان ومكان، وإظهار عوارهم وفضح أسرارهم، وسيلة للتقرب إلى الله في الدنيا والآخرة فالشيخ غار على دائرة الكمال من أهل حضرته وجهده باللسان والبنان على أهل صوته..... الخ[1].

"فهذا الجهد الذي هو أحد من السيف في نحور أعداء الله ناهيك هم أعداء نسخوا شرخ سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بأرائهم المسطرة بأقلامهم في سجلاتهم وأحلوا الرشا بأفعالهم والتمدح والعكوف على طلبها والاعتناء بأخذها في أنديتهم فهي عندهم من أرفع المكاسب وأنسى المطالب "[2]و" الطائفة الأخرى أعلنوا بأن سابق الأقدار منوطة بإرادتهم وتأثيرات الأكوان صادرة عن اختياراتهم فزادت بهم العامة شغبا إلى شغبهم وتشويشا دخل القلوب فما أعظمه وأعصبه، واتخذت أتباعهم ألقابا باسم الشيخوخة والتحذير من أن يغاضوا أو يغتاظوا فأصبحت العامة بجانبهم ولا تحط بساحتهم وأما النكير عليهم فأربابه في قعر حفير وربما زاد في إفصاح أهوالهم والحمل على بثها وإبداعها ما أحدثوه من أن من مات منهم بنوا عليه، أو شيدوا بناءات وجعلوا عليهم قبابا من العود وألواحا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا لهم من الألقاب التي لا تصلح لهم، وهي من أوصاف سادتنا العاملين والصلحاء الفاضين الكاملين وصيروا ذلك لغائر الدهر بحيث أنهم لبسوا على العامة في الحياة وعلى من سيكون بعد الممات[3].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ص32.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ص33.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ص33.

2- مضمون منشور الهداية:

ومما سبق يتضح أن الشيخ يقسم أهل البدع على قسمين قسم نال النفوذ الدين الرسمي كالمفتين والقضاة وغيرهم فلم يحسنوا لأنهم إنما تقلدوا ذلك عن طريق الرشوة والمحاباة أما القسم الثاني فهم الذين نالوا حضوة دينية بسبب تزعمهم للطرق الصوفية والزوايا ثم أصحاب الشعوذة والدجل اللذين أسماهم مدعوا العلم والولاية[1].

شرح المؤلف خطته في التأليف إذ يقول بأنه قسمه إلى ثلاث فصول وخاتمة أما الفصل الأول فقد خصصه لمن لاقاه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم ومن قبل زمنهم نقلت إليه أحوالهم وصفاتهم تواترا فنبه إليهم وذكر ما كانوا عليه وزمانهم وتواريخ وفاتهم[2]، واما الفصل الثاني فقد خصصه للحديث عن تعاطي المنصب الشرعي لادعائه العلم من قضاء وفتوى وتدريس، أما الفصل الثالث خصصه للكلام على المبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضية أما الخاتمة فقد خصصها لذكر إخوان العصر من الأصحاب والأحباب[3]. بالرغم ما كان للزوايا من دور في تحفيظ القران آنذاك ، والتدريس الى انهم اتخذوها في خدمة مخططاتهم الشيطانية.

3-منهج الكتابة وأبرز ميزاته:

رغم الأهمية الكبيرة التي اكتسبتها جميع مؤلفات ابن الفكون، إلا أن كتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، قد احتل مكانة هامة لدى الباحثين والدارسين في الأدب الجزائري عامة وأدب التراجم خاصة، فقد تضمن مجموعة من التراجم، والتي بلغت حوالي خمس وسبعون ترجمة العلماء مدينة قسنطينة وما جاورها في القرنين العاشر والحادي عشر، وهي الفترة التي يصفها كثير من المؤرخين والباحثين وفي مقدمتهم أبو القاسم سعد الله بالضعف العلمي والجمود الفكري والتأخر الثقافي.

---

1 أنظر الكلمة التي ألقاها المهدي البوعبدلي يوم الجمعة 1977/ 01 /07 بقاعة كلية الشعب بقسنطينة، بعنوان (عبد الكريم الفكون وكتابة منشور الهداية).

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون صص 32 – 33.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون صص 32 – 33.

سجل الفكون تراجمه في شكل مذكرات وتقاليد على مراحل، مما جعلها قد تقصر أو تطول، ولا تخلو من التكرار والاستطراد، وذلك راجع إلى طبيعة المتَرجم له وتخصصه، وطبيعة المادة المنتقى منها هذه الترجمة، ونوعية المصدر، سواء كان مكتوبا أو مسموعا، بالإضافة إلى أساس الشهرة والشمول النوعي والشمول المكاني. مع العلم، أن مثل هذه العناصر قد لا

تجتمع بالضرورة في ترجمة واحدة، فقد ترد جملة في ترجمة، بينما تتوزع الباقية على كثير من الترجمات.

فقد انتهج في كتابته طريقة خاصة، تتضمن أخبارا لطيفة وأراء شخصية صريحة، اعتمدت على ثنائية المدح والهجاء دون اعتبار لأدنى صلة للقرابة أو الصداقة أو الحظوة المجتمعية، وهو ما تسبب له بعد ذلك في مضايقات ومشاحنات، وهذا ما أشار إليه في قوله: "رمتني من أجله العيون، وانحقد علي بغيضي القلوب وأكثرت الشؤون[1].

يتحسر ابن الفكون على مجتمعه الذي انتشر فيه الجهل والفساد والزندقة والنصب والاحتيال، وتلاشت فيه القيم والمبادئ، وفي ذلك يصف أهل زمانه بقوله: "لما رأيت الزمان بأهله تعثر،

وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أظلته، وأسواق العلم قد كسدت،

فصار الجاهل رئيسا، والعالم في منزلة يدعي من أجلها خسيسا، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأس لائحة، وروايح السلب والطرد من المولى عليه فائجة"[2].

يهدف من خلال مؤلفه "منشور الهداية" إلى لعب دور المصلح الاجتماعي في زمنه العجيب هذا، وهو ما يجعله يتصدى لما كان يسميه بالطائفة البدعية، مبديا غيرته على الدين والأخلاق، فاعتبر ما كتبه واجبا بل جهادا، فيقول: "هذا الجهاد هو الذي أحد من السيف في نحور أعداء الله، وناهيك بهم أعداء... فعظم الباحث على النصح بهذا التقييد"، كما يعتبر ذلك أيضا دعوة سلفية ضد الذين حادوا عن سبيل الشرع الصحيح ومسلك الجماعة، مفصحا عن هدفه هذا بقوله:

1 تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله، أبو القاسم، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط،1985، ص31.

2 منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، الفكون عبد الكريم، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي,1987 ,ص ص31- 32.

"والبر بتأليفه أردت، وإرشاد الأمة ونصحها قصدته"[1]. كما أن نزعته الصوفية كانت سلاحا حارب به من دنسوا صفاء المنظومة الروحية الصادقة، وبلغة أخرى دافع عن نوع صوفي معين (الفكون من أتباع الطريقة الزروقية)،

هي "الصوفية العالمة" أو "الولاية العالمة" التي تنير بهدي المنقول المتواتر، يقول عن ذلك: "فالعالم ولي الله، والولي لا يكون إلا عالما"، وقد قال الشافعي: "إذا لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي، وأما الولي بلا علم، فالعداوة أقرب إليه من المحبة"[2]

ومن خلال الاطلاع على تأليف الفكون يظهر ان له مشاركة تتوزع في مجالات مختلفة كانت مناط العناية والاهتمام آنذاك. فقد كتب في الفقه والنحو والصرف واللغة، وساهم أيضا في ميدان نظم القريض. ومما يجدر التذكير به في هذا السياق، عناية الفكون واهتمامه بنصوص المغاربة، ذلك بأن كتب التراجم تذكر أن صاحبنا رصد في بعض أوضاعه نصوص بعض المشاهير من أهل المغرب كالمكودي وابن أجروم من خلال أعمال الشريف بن بعلى الذي شرح الآجرومية، والمجرادي السلاوي.

4-مصادره:

اعتمد عبد الكريم الفكون على جملة من المصادر المختلفة والمتنوعة، سواء من المؤلفات التي كانت رائجة في الوسط العلمي وفي حلقات الدروس في زمانه، أو التي سبقته شهرة، ومن بينها:

-المدخل، لمحمد بن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت737هـ/1337م) هو كتاب مدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والفوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها[1].

الرد على المبتدعة، للحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا الحنبلي الطرطوشي البغدادي، كتاب أراد صاحبه به التقرب إلى الله بقمع أهل البدع والأهواء وكشف عوارهم وهتك أستارهم،

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص33.

2 المدخل ، العبدري محمد، (دت) مصر، مكتبة دار التراث. 725هـ/1358م، ص127.

وأعتبر أن ترك الساحة للمبتدعة يعبثون بدون حسيب ولا رقيب شر عظيم(الحنبلي، حددت: من المقدمة) الأجرومية أو متن الآجرومية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن داود الصنهاجي المعروف بابن اجروم (ت 723هـ/1323م)، فقيه نحوي مغربي، تحدث فيه عن أنواع الكلام وإعرابه، يعتبر من أهم متون النحو العربي، كما أوجز مؤلفه فيه كتاب الجمل في النحو، فكان أساس الدراسات النحوية في زمانه[1].

المنظومة القدسية، لأبي زيد عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير بن محمد الأخضري البنطيوسي (ت 953هـ/1546 م) صاحب الجوهر المكنون في علم البلاغة، هي منظومة بديعة في أداب السلوك، وتسمى بالمنظومة القدسية في طريق السنة، تذكر أحوال المتصوفين في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وتدعو إلى التمسك بالعلم ونبذ البدعة والعمل بالكتاب والسنة، والجمع بين علمي الظاهر والباطن جمعا صحيحا واضحا، تحتوي على 364 بيتا، طبعت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية[2]. الحكم العطائية، هي مجموعة من الحكم عددها264 حكمة، كتبها أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، من أهم الشروحات للحكم العطائية، شرح احمد زروق في كتاب" قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري"[3].

كما أستشهد بفتاوي الشاطبي وأراء الغزالي ومقولات البسطامي ورسائل زروق وبمرويات أبي الحسن الشاذلي وغيرهما.

5-أهمية الكتاب وقيمته العلمية:

إن مؤلَف" منشور الهداية" يندرج في أدب التراجم، وهو ذو قيم متعددة، منها: تصوير طبيعة البيئة في مدينة قسنطينة زمن هيمنة عقلية الخرافة والهرطقة، والتي منها انطلق المؤلِف في حملته الإصلاحية التنويرية لمحاولة كشف الزيف والزور، والذود عن الشريعة والدفاع عن أهلها الأصفياء الأتقياء المخلص، وهو ما يلخصه في هذا الموقف الحازم الثنائي المعالم، معلم الحسرة على ما آلت إليه الأوضاع من سلب وطرد ورواج الجهل، والتحذير من ذلك، والتصدي

1 متن الأجرومية، ابن أجروم محمد ط1، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع،1989، ص121.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون صص229-234..

3 الزروق، أحمد،1998، ص57.

لهم في كل زمان وأوان. ويمكننا استبطان ملفوظاته وأحاسيسه الوجدانية وحقيقة مشاعره من خلال خطابه، وهو ما يثبت ما صرح به عبد الكريم الفكون بخصوص صراحته في معالجة النصح والتصحيح الديني العقيدي والاجتماعي.

كما يقدم المؤلف معلومات قيمة عن أعيان عصره ممن سكنوا حاضرة قسنطينة، أو ممن استقروا بها من الأجانب، أو حتى ممن مروا بها، وقد فاق عددهم في المؤلف المائة ترجمة. صحيح أنها ليست مرتبة ترتيبا منهجيا واضحا، وبها خلط في إقحام ترجمة متقدمة في ترجمة متأخرة، ولكنها لا تخلو من فوائد وإضافات، ومنها تحلية بعض من ترجم لهم بما هو أهلا له، كقوله مثلا عن والده: "كان فقيها صوفيا، وكان ذا سمت وتعفف وأوراد..."، وعن عبد الله بوكلب قال: "وأما استعماله لأداء الفرض فلا تراه أبدا مصليا ولا متوضيا، ولا يفرق بين معروف ومنكر"[1].

يشير كتاب "منشور الهداية" إلى ظاهرة حجم المقروءات من العلوم والمؤلفات بالترتيب وحسب الأولوية والتي كانت محل عناية من قبل العلماء والمتعلمين، الفقهاء والمدرسين، على الرغم من أن الفكون يعترف بالإعراض عن التعلم والتفقه في عصره، إلا ما شذ كما يقول. ومن جملة المقروءات التي اهتم بها أعلام مدينة قسنطينة، متون الفقه المالكي والنحو والفرائض والتصوف.

ففيما يخص الفقه، نجد في مقدمة المؤلفات التي تردد صداها مختصر الشيخ خليل، لأن هذا المتن الفقهي كان مناط الدرس والإقراء، وعناية العلماء به، وعكوف طلبة العلم عليه، ليس فقط في مراكز العلم بحاضرة قسنطينة، بل في معظم الحواضر والمدارس بالمغرب الأوسط (الجزائر)، ومنها مدرسة مازونة التي نبغ فيها اسحاق خليل، ونمى نوره في الأقطار.[2]

ومهما يكن من أمر، فإن كتاب "منشور الهداية" هو أقرب إلى المؤلفات الأدبية والاجتماعية والإصلاحية منها إلى مصنفات التراجم، وذلك على الرغم من أن المؤلف يزودنا بتراجم كثيرة مهمة للغاية، وبأخبار الأولياء والمتصوفة الذين يلتمس فيهم الفكون البركة والولاية والصلاح،

1 قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري، الزروق، أحمد. 1998، ترجمة وتحقيق: محمود بن الشريف، القاهرة، دار التراث العربي، ص176.

2 مختصر خليل، ابن إسحاق، خليل، صححه وعلق عليه الطاهر أحمد الزاوي، ط2، لبنان: دار المدار الإسلامي، 2004، من المقدمة.

فيذكر عجائب الكرامات والمقامات والمنامات ونفحات لبعض الشيوخ منها كرامات الشيخ الوزان مثلا.[1]

ونظرة عابرة إلى هذا النص تقنعنا بأن اهتمامات المؤلف لا تتجه إلى مشاهد الحضرة التي يصفها بالمظاهر الجنونية المتمردة على ضوابط الذكر ومروءة الإنسان، وإنما هو يتجه إلى تراجم العلماء والصلحاء والأدباء الصادقين. والحق أن الكتاب اقترب إلى أن يكون تقريرا نقديا يعكس إلى حد ما الحركة الأدبية والعلمية في مدينة قسنطينة وما جاورها، وهو في التقدير من المصادر الصوفية المهمة والمتميزة لما يحتويه من رؤى تنظيرية تصحيحية، أراد من خلالها المؤلف تجديد المعرفة الصوفية اعتقادا وانقيادا سائرا على خطى سلفه وشيوخه خاصة الشيخ زروق الذي أكثر من النقول عنه ومن رسائله لبعض إخوانه.

1 منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، الفكون عبد الكريم، تقديم وتحقيق وتعليق ،أبو القاسم سعد الله، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي،1987، صص229-234.

الفصل الثاني

تمظهرات العجائبية

المبحث الأوّل: تمظهرات العجائبية.
المبحث الثاني: مرجعية العجائبية.

الفصل الثاني؛ تمظهرات العجائبيّة ومرجعيتها:

تتمظهر العجائبيّة بأكثر من وجه في المنشور، وبهذا فبعد بدايتنا في استنباط العجائبية الواردة فيه وتبيينها، حاولنا التعقيب على ما وجب التعقيب عليه أو تحليله.

المبحث الأول؛ تمظهرات العجائبيّة:

ظهرت العجائبيّة في أشكال مختلفة وهي: عجائبية السحر، العجائبيّة في تسخير الجنّ والملائكة، عجائبية المكان، عجائبيّة الحيوان، عجائبيّة النّبات، عجائبية الأحلام، عجائبية الإدلاء بالحجة، عجائبية وصفات الشفاء،العجائبيّة في الأفعال المبالغ فيها، عجائبيّة الكرامات والدجل والادعاء، عجائبية الشخصيات.

1-عجائبية السحر:

يعد السحر من الظواهر الخطيرة التي سيطرت على عقول العديد من الناس، إذ كانت أداة يستعملها البشر للوصول إلى مبتغاهم، وهي ليست وليدة العصر إنما لديها جذور موغلة في القدم.

والسحر ككلمة "مستمدة من الكلمة اليونانية "ماجيا" التي أول ما استخدمت كانت تشير إلى المراسم والطقوس التي يؤديها "الماجو" والجمع ماجوي"[1].

ويعرف السحر بأنه "استعانة الإنسان بالشيطان في فعل المحرم"[2]، فمن هذا التعريف نستخلص بأن الإنسان الذي يمارس السحر لا يمارسه بمفرده، وإنما يستعين بالشيطان، وبما أن الشيطان لا يفعل إلا المحرمات فكذلك الساحر فإنه يستخدم السحر في كل الأفعال الشنيعة والبشعة، وعليه فالشيطان بمثابة واسطة بين الساحر والأفعال السحرية، وهذا الاتصال قد يكون "بعبارات أو إشارات، أو أبخرة يصاحبها تذلل من الساحر لشيطانه تقربا منه لهم بأنواع مختلفة من القرب التي لا تكون إلا كفرا وشركا بالله سبحانه وتعالى عما يفعله الظالمون علوا كبيرا، وكلما

1 السحر، مقدمة قصيرة جدا، أوين ديفيز، تر: رحاب صلاح الدين، مراجعة: هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، ط1، ص201.

2 القتل بالسحر، جابر إسماعيل الحجاجحة، دراسة فقهية مقارنة، مجلة الجامعة الإسلامية، مج: 17، ع: الأول، يناير، 2009، ص09.

زاد الساحر في تقربه وتذلله كلما زاد شيطانه من الجن في خدمته"[1]. كما أن السحر يعد "عالما عجيب تختلط فيه الحقيقة بالخرافة، والعلم بالشعوذة"[2]، وعليه فالسحر مرتبط تمام الارتباط بالعجيب والشعوذة. ويُعْتَبَرُ السّحر من خوارق الطبيعة، وإن كان بعضهم قال أنّه " ليس من الخوارق لأنّه معتاد عند تعاطي أسبابه"[3]، فالظاهر فيه أنّه أمر غير مألوف وإن كان له أسبابه.

ونأتي إلى منشور الهداية لنوضح ذلك من خلال ما تم اقتباسه في قوله: "وممن سمعنا به الشيخ الصالح الزاهد سيدي محمد بن حسن – نفع الله به – كان فقيها متكلما، كان يقرئ المقترح شارح الإرشاد ويدرس في الفقهيات، وهو من تلامذة الشيخ الوزان – رحمه الله – وكان الأغلب عليه الصلاح، وممن له بله في طريقة الدنيا. فمن ذلك ما حكي أنه أخذ ذات مرة سمنة وجعله في ورقة ثم وضعه في قلنسوة برنسه حتى يأتي بيته، فطال أمده فدخل بيته، فكلم فيه، فقال لهم أخرجوه من البرنس فوجدوه قد ذهب وذاب"[4].

ومما يذكر كذلك، "ومما أخبرتني به جدتي زوجه – رحمها الله – أنه كان يقوم بالليل، فقام ليلة على عادته فوسوس الشيطان إلى ما أوجب لي القيام في طلبه، فقمت أطلبه، فبحثت عنه فلم أجد له أثرا، فأشرفت من عالي الدربز نحو وسط الدار والأدراج فلم أجد له أثرا إلا ظلام الليل، فوقفت مفكرا في أمره، وكل ذلك وأنا متشوشا، وإذا به جعل الشمعة عند أذني تشعل، فالتفت فإذا هو بالشمعة وهو يقول لي: ما ألجا إلى هذا الخروج أو كلام هذا معناه، فعجبت من حاله ووجود الضوء بعد خفاء أثره"[5].

" الشيخ سيدي علي بن مخلوف، إذ كان– رحمه والله – كثير البحث على الكنوز وتخديم الروحانية، ولم يحظ بطائل من ذلك، فيقال: إنه ذات ليلة قصد ذلك المحل فوجد فيه شخصين

1 حقيقة السحر وحكمه، عبد الله بن عيسى بن موسى الأحمدي، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ع: 5، 1436هـ، ص306.

2 عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط4، 1422هـ، 2002م، ص07.

3 تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، البيجوري إبراهيم بن محمّد، ص149.

4 منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، الفكون عبد الكريم، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي,1987 ,ص 45.

5 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص53.

لامرأتين لابستين جلود الضأن ويرقصان على مجمرة من نار فرعب وخُطف عقله، وإذا ذاكرته تجد أثر ذلك في لبه وكان لسيدي عبد الله هذا معرفة بالعزائم والتخديم حكمة ظاهرة فيه"[1].

فهؤلاء المشايخ كل منهم لجأ الى طريقته الخاصة في ابراز قدراته العجيبة السحرية على حسب ما قاله ابن الفكون ، فمنهم من استعمل التعويذات ويُقصد بها الإتيان بمكوّنات معيّنة تُصَنَّف في الغالب ضمن الخبائث، ثمّ النطق بتمْتمات معيّنة ليَحدث بعد ذلك السحر أو الأمر الخارق بعد النطق، ومنهم من استعمل الطلسم و هو عقدة يعقدها ساحر ويُخبِّئُها لتؤثّر في النفوس وفي الطبيعة.

وعلى العموم فإنّ الأفعال السّحريّة من الطلاسم والتعويذات والتنجيم... وغيرها، لها علاقة وطيدة بالنصوص العجائبيّة، فكثيرا ما فُسّرت الأمور الغريبة في القصص والأخبار بالسّحر، وإنْ كان هذا الأمر غير متوفّرٍ بكثرة في "منشور الهداية"، لأنه ركز على الأولياء ،والمدعين من الدجالين والكذابين.

2-عجائبيّة الجنّ والملائكة:

أ- الجن:

خلق الله تعالى الكون وخلق فيه مخلوقات مرئية وأخرى غير مرئية، منها الإنس والجن والملائكة، فما هي الجن؟

تعتبر الجن "عالما آخر غير عالم الإنسان والملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان"[2]. ومنه نخلص إلى أن عالم الجن والإنس عالمان مختلفان، إلا أن لديهما بعض المميزات المشتركة منها: العقل والإدراك

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص70.

2 عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1404، ص 11.

والمقدرة على التفريق بين الخير والشر...إلا أنهما يختلفان في الأصل أي المادة التي خلقا منها، فالجن خلقها الله من نار وذلك لقوله: "وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ"[1].

أما الإنس فقد خلقه الله من تراب وهذا ما جاء في قوله تعالى: "وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ"[2]. فهاتين الآيتين تبينان بشكل جلي أصل كل من الجن التي خلقت من نار وأصل الإنس التي خلقت من تراب. | أما بخصوص اسمها –جن– تدل بشكل كبير على أنها صفة من صفاتها حيث أنهم "سموا جنا لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون"[3]. وعليه فإنها سميت جنا وذلك لأنها لا مرئية ومستترة عن أعين البشر، في حين أنها ترى الإنسان وهو لا يراها.

" فراود الجني فاستهزأ به فأمر إذ ذاك بالنار تحضر وأخذ في خرقة بعد سجنه، فما راعهم إلا والجني ينادي متوسلا إلى الفقيه المذكور في رفع يده عنه والفقيه المذكور يحرض عليه في الخروج والتوبة ويقول له لأي شيء فعلت هذا الأمر لمسلم أو مؤمن أو نحوه، فأخبره بالسبب الذي من أجله أصيب وتوسل إلى الفقيه سيدي عبد الله أن يعفو عنه ويخرج من قرب المصاب ولا بقى يعرض له، فعند ذلك قال له الفقيه المذكور: أخبرني عن كتابي الذي ضاع.

وكان للفقيه المذكور كتاب فيه من الأسماء والطلاسم ما يستعين به على ما هو بصدده وعزائم به وخواتم وغير ذلك. وكانت للفقيه ابنة وكان الطلبة طلبوها في إتيانها به لهم، فاختلسته لوالدها ومكنته لهم فنسخوا منه وردوا بعضا وتركوا بعض، فلم يجده الفقيه المذكور، فسأل الجني المذكور عن ذلك، وكان الطلبة إذ ذاك حاضرين الموطن فيهنوا وكأنما وقعوا في مهواة لما علموا أن سيكشف الجني حالهم، فقال له الجني: كراريس منه في كذا في محل كذا وكراريس بدار فلان في كذا، كل ذلك يقول لمن أخبر به الجني قم يا فلان وأت بما عندك إلى أن استوفي جميع الكتاب بإخبار الجني عن ذلك، وعاتبهم معاتبة برفق ولم يحقد عليهم، وتذللوا إليه واعتذروا، وقبل ذلك، وعاهده الجني في مفارقة المصاب، وكتب للمصاب تميمتين، وقام المصاب في موطنه ذلك

1 سورة الحجر، الآية: 27.

2 سورة الروم، الآية: 20.

3 عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، ص 11.

كأنما تشط من عقال، فانتبه دهشا مذعورا كأن لم يكن بين الأدميين، ففرح به أهله وسلموا الثور ورجعوا إلى وطنهم وأهلهم"[1].. وهنا نلحظ ان ابن الفكون اعطى دورا كبيرا وعجيبا في قدرة الشيخ أحمد الجزيري على تفاعله مع الجن وامرهم ونهيهم، وكذلك في استجلاب المعلومات المخفية عنه من خلال حادثته مع الطلبة.

ولنرجع إلى المراد فما كان من أمر هؤلاء الذين يجري ما قدمناه على ايديهم بسبب طاعة الجان لهم إلى الكفر أقرب وإلى ساحته أظهر، لأن الغالب على هؤلاء عيادة الجن إلى أن يكفروا بالله ورسوله بأن يشرط عليه الجني أن يسجد له من دون الله أو يترك الصلاة أربعين يوما أو غير ذلك على ما ذكره العلماء في شأنهم"[2].

والعجائبية في هذا المقطع تظهر من خلال القوى العجيبة والخارقة التي تمتلكها الجن حيث انها تشترط ان يقوم الشخص بأفعال وبصفات دنيئة ونجسة حتى يتسنى لة ان يكون من اتباعها والعياذ بالله.

" فإن قالوا: ما تنكرون على من خدم الجان؟ وهل يخدم إلا أولياء الرحمان؟ هذا أبو الحسن على بن مخلوف قد اشتهر أمره عندكم في الولاية والصلاح وعرف به أكابر العلماء وهو في خدمة الجان له واستغاثة الناس منهم إلى اليوم بضريحه مشهور، وقد استفاض أنه كان ممن يقرء أولادهم وينتفعون به. وقد استفاض عن أبي مهدي عيسى الويشاوي المدفون بجبل وشاوة على بلد العناب مثل ذلك، واستفاض صلاحه وولايته بين أهلها وغيرهم، قلنا هذا كلام رجل مجنون أو صاحب هوى مخذول، فنحن لا ننكر أن أولياء الله تعالى تنقاد إليهم الجن وغيرهم، ومن خاف الله خانه كل شيء، إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، أرأيت من كان وليا لله متبعا لحدوده يتعاصى عليه في الكائنات شيء إذا قصده بهمته الخالصة لله والكلام في غيرهم ممن يطلب على طاعة الجن أو يتملق إلى غير الله في استخدامهم "[3].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص71.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص182.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص182.

وهذا شيئ عجيب ان ترى من يولي الجن كل اموره ويسلم لها، وينسى الله القادر على كل شيء علام الغيوب. "حتى إنه ينسب إلى استخدام الجان وجلب المال، والله أعلم بحقيقة أمره "[1]. فالجن هنا مصدر لجلب كل خبر وكل ما هو خارق ويعجز عنه كل انسان فتلك هي المفاهيم السائدة في عصر الفكون لهذا تجد الناس آنذاك تقدس كل من كان يسخر الجن.

ب- الملائكة:

الملائكة – عليها السلام – في حقيقتها، مخلوقات نورانيّة غير مرئيّة في الغالب، لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتزاوج، تفعل ما يأمرها الله به، ولا تعصيه أبدا، ولكّل منها مَهمَّة كلّفها بها الله تعالى، فجبريل – عليه السلام – أمين الوحي، والمعقّبات تحفظ المؤمن وتحميه، والزبانية هم خزنة جهنّم... وغيرهم كثير.

" يا سيدي كنت سمعت منك أنك قلت رأيت جبريل وميكائيل وبين يديهما ثلاثة أباعر وقلت إنهما أتيا لحمل البركة والحياء والقرآن، فقال له نعم رأيتهما، فقال له مناما أو يقظة؟ فقال له وما نك؟ يقظة رأيت جبريل وميكائيل، وقال له تعرفهما يا سيدي فقال له بلغته !: واش أخبارك يا رجل، أو نحوه، نعرفهم رأيتهما ومعهما الأباعر الثلاث، فسلمت عليهما وسألتهما فقالا لي: أتينا لحمل البركة والحياء والقرآن، فرفعا البركة والحياء، والقرآن مسكوا فيه أهله فاجتهدوا في القراءة قبل أن يرفعوه، أو كلاما هذا معناه، ثم إنه أخذ في التلاوة هو ومن معه"[2].

3-عجائبية المكان:

يمثل المكان أحد المكونات الأساسية التي يقوم عليها العمل الأدبي، إذ لا يمكن للشخصيات أن تمارس أفعالها دون حضور الأمكنة التي تجري ضمنها الأحداث، وهذا المكان يمكن أن يكون مكانا واقعيا كما يمكن أن يكون مكانا مليئا بالعجائبية، وهذا الأخير الذي يختلف عن الأماكن العادية، إذ طبيعته المرعبة والمثيرة للتساؤل أو التردد هي التي تضفي عليه صفة العجائبية.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص183.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص146.

ومما ورد في هذه العجائبية قوله: " سمعت من الطالب محمد النقاوسي، وكان سمسارا للكتب بقسنطينة، أنه قال لي: اطلعت على بعض الكتب ذكر فيها القائمون من لدن من مضى إلى غابر الدهر مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيته قبل قيام سيدي يحيى أو قبل موته، الشك مني، قال: فإذا فيه أن يحيا بن سليمان الأوراسي يقوم بجبل أوراس ويمكث كذا وكذا ويموت شهيدا، فوافق الخبر الواقع، وما ينطق عن الهوى، وإن صح فهذه بشارة عظيمة بموته شهيدا وناهيك بها شرفا"[1].

" أحمد الجزيري، حتى يذكر أنه لما استعمل شربته أوصى أن لا يوقظ من نومه إلا باختياره فعرض له ما أيقظه فانتبه مذعورا، فبقي في عقله منه بعض أثر، ويقال إن سبب ذلك في عقله ليس إلا رعب شربه من بعض أماكن هواء البلد وهو المحل الذي يدعي عند العامة بمكتب الشيخ سيدي علي بن مخلوف"[2].

والملاحظ هنا ان سبب ذهاب عقل احمد الجزيري على حسب اراء معتقداتهم يرجع إلى الأماكن الذي يرتادها فمن عجيب هذه الأمكنة أنّها تستطيع ان تذهب بعقول الناس. "وكان هو ممن له معرفة بأحوال دنياه ويجريها على قدر أهلها، وكل من يجلس معه لا يقوم من عنده إلا راضيا عنه في غالب أحواله، وإن كان له نقض عقيدة فيه إنما يكون بعد ذلك لما أعطاه الله من سلاسة المخاطبة واستجلاب الخاطر وجلب النفوس إليه بالحضرة"[3].

فأماكن العلم هذه كان لها اثر عجيب في استجلاب الطلبة واستهوائهم لها، فبالرغم من ان الشيخ ذو عقيدة ناقصة الى ان الجلساء يرضون تلك الأمكنة التي يعتقدون انها هي من جعل لهم الرضا في ذلك وانها أماكن مباركة. "فنزل علينا بالزاوية المشهورة بأولاد الفكون، وبها أقبرَ الجد الصالح عبد الكريم المذكور، ووجدني في حداثة السن لم أجمع القرآن أو قريب عهد بجمعه، لأني شككت في ذلك، وكنت أحضره"[4].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص55.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص70.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص81.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص106.

وتعتبر الزوايا من الأماكن المغلقة العجيبة، والتي كانوا يقبرون موتاهم بها ويقيمون عليها الاضرحة والبنايات وهذا لكي يتبركون بها وان كان هذا اختلف العلماء في حكمه.

"إن قول الملك لا تتركوا أحد يدخل النار يقتضي كراهية الملك لدخول كائن أي كائن، وهو قائم مقام لا أريد دخول أحد نداري. وتقدير أن دخول من دخل بالإذن يؤدي إلى الكذب والخلف في الأخبار، والملك يجل ويعظم عن الكذب والخلف مع ما في قوله: لا تتركوا أحد يدخل سد لباب الملك وعلق لساحتة عن التطرق. وهذا خلاف ما هو المعلوم من فتح الباب للعباد، وأنه ليس عليه صياد ولا راد، نعم أمر الملك بالبواب والحراسة إنما هو من الشيطان والملحدين أن يزيغوا في الدين، وكانت الحراسة بالعلم الذي أورثه خلاصة الأنبياء والمرسلين.

فإن كان هؤلاء المدعون من الشياطين والملحدين كانت الحراسة منهم حقا، ولا يدخلون المحضرة حتى يلج الجمل في سم الخياط ما داموا بتلك الصفة، وإن لم يكونوا بتلك الصفة فلا حراسة عليهم ولا مانع يمنعهم. وقصاري الأمر أن يتوجهوا لدار الملك من الباب، وتلك طريقته في الواصلين إليه من الأحباب، وشاهده وواتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله ولنكف القلم في هذا القسم فنقول: وإن كان دخول الداخلين من غير إذن الملك فلا شك في فسقهم وطردهم وبعدهم بل وكفرهم حيث هجموا على دار الملك من غير إذن، واستباحوا حماه بدون مشورة ورضى. ثم هو يؤدي إلى مفسدة عظمي وهي، والعياذ بالله، جهل الملك بدخولهم إن لم يعلم أو قهره غاية القهر بوصولهم إلى داره وحلولهم"[1].

" ولما مات حمل بعد دفنه إلى بلد العناب، وكان له مشهد عظيم بها، ودفن بجامع يقال لصاحبه سيدي علي يسلخ، وأقبلت عليه الوعائد والعطايا، وكاد أن يكون قبره وثنا يعبد"[2]. وعلى غراز الزوايا نجد من يدفنون في المساجد موتاهم والتي يزعمون أنّهم أولياء الله، فيُقبل الناس عليهم بالودائع والزيارات التي يعتقدون أنّها مصدر لجلب وقضاء حاجاتهم ، فجعلوا هذه الأمكنة مقدّسة في نظرهم.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص152.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص169.

" فلما شب وسمه أهله وأقاربه بأنه من الصالحين، فخرج عليه هذا الوصف، فصار أبوه وأهله يظهرونه للناس طمعا في جلب الدنيا من أجله. ولما مات دفن خارج قسنطينة بمحل يقال له أكدال، وبنوا عليه مسجدا ويقال له جامع سيدي مدين"[1]. يتّضح جليّا من هذه العجائبيّة استخدام واستغلال الأماكن المقدّسة كالمساجد في جلب حطام الدنيا والتلاعب بالعقول الساذجة.

4-عجائبيّة الحيوان:

أبهر عالم الحيوان بتنوّعه الإنسانَ منذ القِدم، ولازال يبهره حتى الآن، إذْ أنّ كثيرا من الحيوانات الجديدة تُكتشف كل سنة، وتُضاف إلى قائمة الكائنات الحيّة، يعد عالم الجن من العوالم الخفية اللامرئية ولا يمكن لأي كان مشاهدتها، ولكن الأمر العجيب الذي يجعل ذهن الإنسان لا يستوعب ما يراه أو يسمعه هو أن هذه الكائنات بإمكانها أن تتحول إلى كائنات حيوانية أو بشرية مرئية، ومن بين الحيوانات التي نجدها في المدونة مثلا القطط الثور الذئب الطير.

"إذ قدم أشخاص من قبائل البربر ومعهم مصاب على أعواد يحمل، وبين أيديهم ثور أسود في غاية الخلقة الحسنة والسمن، فما راعهم إلا وهم يسألون عن سيدي عبد الله المذكور، فوقفوا بين يديه وسألوه الرقية لمصابهم، واخبروه أن الثور المذكور، أجر على البرء، فأمر بوضع المصاب بين يديه، فوضع كالخشبية الملقاة"[2].

" وكتب للمصاب تميمتين، وقام المصاب في موطنه ذلك كأنما تشط من عقال، فانتبه دهشا مذعورا كأن لم يكن بين الأدميين، ففرح به أهله وسلموا الثور ورجعوا إلى وطنهم وأهلهم"[3]. "وكذا سمعت شيخنا التواتي أن فقهاء من عاصره ينكرون ما ينسب إليه حتى حكى أن ذات مرة كان للشيخ الأحسن المذكور فدان فذكر أن بعض تلامذته أتي بذئب ميت وجعله في الفدان وجعل فمه في قرعة أو فقوسه وأصبح يشيع بين القوم أن من بركة الأحسن موت الذئب لما أراد يأكل من فلانه فأفاض ذلك بين اللصوص، فعظمت بذلك رتبته، والله أعلم بحقيقة الأمر"[4].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص178.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 70- 71.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص71.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص118.

يعد الذئب حيوان من فصيلة كلبية، يتميز بالعديد من الصفات من بينها أنه صبور على الجوع، "ومن عجائبه أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يَقْضَى حتى تكتفي العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى، ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة، وهذه الصفة تدل على بديهته ودهائه، كما يتميز الذئب بالغدر والوحشية"[1].

والعجيب في الأمر هو أن المتلقي بمجرد قراءة هذا المقطع فإنه يندهش، وينتابه سؤال من مصدر مجيء جيفة الذئب، وعليه فإن جهل الأسباب يؤدي إلى الحيرة والتردد وخاصة في الأمور التي يراها لأول مرة، فكيف لجيفة نتنة ان تجلب البركة؟ !.

"فقال نزلت معه وقت من جبل زغوان وهو راكب وأنا أسير خلفه، فقال لي: يا عبد الله إذا ورد على حال فاترك الدابة تسير حيث توجهت ولا تعترضها بشيء، فبينما نحن نسير إذا به قد كساه حال غيب فيه وإذا بسحابة طير سدت ما بين السماء والأرض قد أظلته وإذا بأربعة من الطير بيض يقدمها طائر كبير فاكتنفه ذلك الطائر الكبير بأجنحته وجعل منقاره في فم الشيخ. وبقي الأمر كذلك مدة وارتفع ذلك وذهب الطير، ورجع الشيخ إلى حدسه فنظر إلي وقال: يا عبد الله رأيت شيئا؟ فقلت له: نعم، رأيت كذا وكذا وذكرت له ما ذكرت لك، فقال لي: أما سحابة الطير فهي أرواح كل ولي لله تعالى، وأما الطير الكبير الذي يقدم الطير البيض فهو الملك عبدوس صاحب فلك القمر، سألني في علم يختص به، قال ابن عباد ولا سبيل إلى تخطية أحد من هؤلاء الأئمة ولا تكفيره"[2].

والعجائبية في هذا المقطع تظهر من خلال القوى العجيبة والخارقة التي تمتلكها الأرواح والملائكة وتستطيع من خلالها التحول على شاكلة مجموعة طيور والذي يعد موضوعا من موضوعات العجائبي. "وكان يَتألفُ الهر، ويربيه ويتعدد عنده منهم العدد، ويقال إنه مات له هر منها فصنع له كفنا وجعل له مشهد ومدفنا، وأتاه خاصة البلد وعوامها لجنازته، ويقال إنه جالس

1 حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1426-2005م، ج2، صص431- 432.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص147.

مع بعض الخاصة، منهم العم قاسم الفكون أخو الجد وهو المذكور فيما قبل، وحول الجليس هران فقال للجمع المذكور: هذا جبريل يعني لأحدهما، وهذا ميكائيل يعني الأخر"[1].

ومن المعتقد بأن القط له علاقة بعالم الكائنات اللامرئية، فهو من الصور التي يتشكل الجن فيها في بعض الأساطير ذات الصلة بالنبي سليمان"[2]. وهذا المقطع من المدونة يبين ذلك "وحول الجليس هران فقال للجمع المذكور: هذا جبريل يعني لأحدهما، وهذا ميكائيل يعني الأخر"[3].

والعجيب في هذا الكلام هو أنه كيف لكائن خفي ولا مرئي أن يتحول على شكل كائن مرئي، حيث لا يمكن التفرقة بينه وبين الحيوان الأصلي، وهذا كله فيه خرق للواقع والانتقال من المعقول إلى اللامعقول، كما ان الشيخ هنا يريد أن يبرمج عقول الحاضرين بهذه الأمور الغيبة؛ لكي تسلم له تسليما قاطعا فيغرس فيها ما شاء من أفكار وعقائد.

"وأقبل الناس نحوه، ونسبوا إليه من بدعته أن فرسه الذي يسير عليه مأمور، ويقول لهم: أنا أتبع الفرس فإنها مأمورة، وجعلت المزائر لموضع فرسه"[4]. فالملاحظ هنا أن بعض من الحيوانات على حسب أفكارهم مأمورة أي تصنع أشياء عجيبة، خارجة عن إرادتها بل بأوامر ربانية على حسب ما يعتقدون، غير تلك الحيوانات العادية مثل ما نرى ما نسب الى الفرس هنا.

5-عجائبيّة النّبات:

في الفكر الأسطوريّ فَذِكْرُ النباتِ كثيرا ما ارتبط بالخلود والتأثير على نفسية الانسان، إذ يذكُر محمّد عجينة في "موسوعة أساطير العرب" أنّ الشجرة بالنسبة إلى العرب كانت صِنْوا للحياة سواء نظَرْنَا إلى الشجرة من حيث هي كائن واقعيّ أو من حيث هي رمز حيّ"[5]. فنجد في المدونة ذكر لبعض من النباتات واثر مفعولها على الانسان، ومن ذلك نذكر:

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 154-155.

2 موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، محمد عجينة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص29.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 154-155.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص168.

5 موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، محمّد عجينة، الج 1, دار الفارابي، لبنان- بيروت، ط1، 1994، ص277.

"وفي آخر أمره اعتراه بعض نقص في إدراكه، ويقال إن سببه أكل البلاذر[1] ولم يتقن صنعته حتى يذكر أنه لما استعمل شربته أوصى أن لا يوقظ من نومه إلا باختياره فعرض له ما أيقظه فانتبه مذعورا، فبقي في عقله منه بعض أثر "[2]

وهنا يظهر العجيب، في اعتقادهم ان هذا النبات له مفعول سحري فهو يسلب العقل ويجعل من الانسان ابله، فمستعمل مثل هذه النباتات لا يسلم من خبال عقله. "وكان يرى كثيرا مستعملا لأكل الحشيشة ويعطيها لمن يأتيه ويلزمه أكلها، وإلا ضربه أو قاتله بسلاح عنده كان يستعدها، ويحكى أن من يعطيه إياها يجدها في الأكل ثمرة. والله أعلم"[3].

هذه من بين الاعتقادات السّائدة في ذلك الزمان وهو إجبار الشيخ لمن يأتي عنده بأكل الحشيشة، فيصبح حسب ادعاء الشيخ أنّ كل من يتعاطى هذا الحشيش كأنّما تعاطى الثمر وهذا من عجيب تحول النبات إلى ثمار. "وعلى ظني أنه أخرج له من تحته شيئا من الحشيشة، فبلّها وجعلها كالتمرة وأعطاه إياها وقال له: كل وإلا فعلت بك وفعلت، فأخذها منه، وقال له: استفتِح القراءة، فبدا الرجل المذكور عليه في ابن الحاجب الفرعي، وأولُ ما بدأ به: المياه أقسام، قال: فأنطق الله الجليس بما يقصرُ عنه اللسان من العلوم وصار يهدر بها هديرًا. قال: وأنا أتعجب من هذا العلم الذي يقرر به الجليس كلامَ ابن الحاجب"[4]. أمّا الخبر عن عجن الحشيش، ففيه نجد النبات ذا قدرة على تعليم الناس العلوم الكثيرة، كيف لا ومن تعاطى تلك الخلطة العجيبة أصبح قادرا على النطق بمختلف العلوم.

6-عجائبية الاحلام:

"الرؤيا في ابسط تحديداتها اللغوية هو(ما يراه النائم) والحلم في الأصل يدخل في عالم اللامنطق، إذ يدور الإنسان في الحلم، في فضاء اللازمان واللامكان وبحسب ما هو متعارف عليه في الدين الإسلامي أن الإنسان يعيش في الحلم حياة مناظِرة لحياة البرزخ، التي هي المدة

1 في الأصل والبلادر، وهي نبته لها حب من اكلها اعترته وسوسة ونقصان عقل، ويوحد وصفها في الكتب المختصة بالأعشاب.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص70.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص154.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص155.

الزمنية بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهكذا النوم يعيش فيه الإنسان حياة منفصلة عن الواقع الزمكاني المعيش في الجسد"[1].

وقد تجسد ذلك في المدونة، من خلال ما تم تحديده، فنجد من ذلك في قوله: "ورأيت الجد – رضي الله عنه – في النوم مرتين أو أكثر. وفي إحداها كأنني بمدرسة دفنته قاصدا نحو بيت الصلاة منها وكأنه يخاطبني من قبره يقول: اقرأ وناولني قرطاسة مكتوبة فيه بالأصفر، فتأملته فإذا فيه: قال فعل ماض، أو كلاما هذا معناه، لطول عهدي بالرؤيا، فانتبهت ووقع ببالي أنه إذن منه في الاشتغال بعلم النحو، فاشتغلت به فحصلت لي فيه ملكة "[2].

فرؤية الفكون على أن جده حثه على طلب النحو جعلت منه يعمل ما أوتي من قوة في سبيل تحصيله لعلم النحو، والقارئ عند مروره على هذه الفقرة يتعجب لتحقق هذه الأحلام والتي قد تكون نبأ من الله تعالى على حسب ما وضح. "وظهر بذلك مصداق ما كنت رأيته في عالم النوم وذلك أني رأيت الشيخ الصالح سيدي أبا مصباح عبد الهادي رجلا آدم اللون طَوَّالاً في حائك ملتحف ليس نظيف، على رأسه شاشية حمراء ملفاً وهو المعبر عنه في عرفنا بالكبُّوس الفاسي وكان سيدي حميدة الغربي جاء خبره أنه مات، فقصدنا داره لننتظر قدوم الناس فأبطأ علينا مجيئه، فرجعت فوجدت ذلك الشخص بباب الرصيف من أحد أبواب جامع البلد الأعظم جالسا في عتبته أو واقفا، الشك الآن وقع لي والغالب على الظن جلوسه، فألهمني الله أن ذلك الشخص هو الشيخ الصالح سيدي عبد الهادي المذكور فإما سالته أو قال لي: أحميدة الغربي اتفق الأولياء على قتله. فحدثت لي منازعة في كلامه حتى قلت له كيف اتفق الأولياء على قتله؟ أعاد علي مقالته قائلا: اتفق الأولياء على قتله، فانتبهت وأخبرت بالمقالة أصحابنا، وبقيت منتظرا لخروجها نحو الخمس سنين. وكنت في كل نكبة تقع له أحسب قتله حتى مات – رحمه الله – على الحالة المذكورة، فعلمت صدق الرؤيا وإشارة الشيخ في أن اتفاق الأولياء على قتله أن قتله

1 في الكتابة الصوفية، محمد مفتاح، مجلة الزمان المغربي، شتاء 1982 س 4، ع 1 ،ص19 .

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص52– 53.

إنما هو بأمر سماوي لا بمباشرة مباشر وأنه أيضا محفوظ من أيدي الأمراء إلا ما كان من رأي الأولياء وإشارتهم في نفوذ قتله"[1].

" فرئي الشيخ المذكور في النوم في صفته المذكورة، وهو بيده فاس يهدم في دار أولاد الكماد المذكورين، فقيل للشيخ يا سيدي ما هذا؟ فقال هدمُوا داري أو هُدِم داري، الشك مني في اللفظ، أهدم دارهم أو داره على شك مني في تحرير اللفظ. فلم يبق إلا مدة يسيرة حتى هدم دارهم عسكر الجزائر حين نزولهم على بلد قسنطينة بسبب شكاية وقعت بأبي عبد الله المذكور من أهل البلد، وكان إذ ذاك أبو العباس حميدة الغربي المذكور غائبا في حجه مع المفتي أبي زكرياء يحيا بن محجوبة"[2].

" وسمعت من الفقيه أبي عبد الله المذكور أنه يقول غير مرة إنما تيسر لي إقراء الرسالة والمختصر بسبب الإذن من خالي الشيخ عبد الكريم، رأيته في النوم وناولني الكتابين، فمن ذلك الحين أقرأت فيهما. وسمعت منه غير مرة أنه يقول ما عسر علي أمر إلا ورأيت خالي المذكور في النوم فيجعل الله لي منه فرجا ومخرجا"[3].

" ولقد رأى عاقبة أمره منامة ولم يتفطن لها وصار يموه برؤياه على العامة والخاصة الذين لا يعلمون، فكان يقول لهم رأيت النبي في النوم، وحانت صلاة عيّنها هو ونسيتها أنا، وأقيمت الصلاة فتقدمت وصليت بالنبي ة وبأصحابه، ويراها من كراماته وأنه بالحالة العليا في النسك والعبادة، ويذكرها بين يدي الأمراء لتزيد حظوته عندهم...، وما درى هذا الخبيث أن ما رآه وبال أفعاله السيئة وجزاء سيرته الخبيثة. وقد نص المعبرون على أنه من صلى بالنبي – ص – فهو ممن قد نبت الإسلام وراء ظهره، فما علم ما أُرصِد له وما أخفي عنه، وبالجملة فهو رجل أمّله الله للشر وأجراه على يده وأمهله، وزين للعامة أقواله وأفعاله ولبعض الخواص ممن كان على

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 76-77.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 77-78.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص82.

شاكلته، حتى إنك لا تجد من يأوي إليه أو يجالسه أو يتعاهد ناديه موفقا ولا مهديا، بل لا يأوي إليه ويتعاهده إلا من خذل"[1].

" قال فرأيت في النوم والدي وهو ميت موضوع بين يدي وقائل يقول كل لحم والدك قال وأنا اتمنع وهم يحملون على أكله، فانتبهت فزعا وتبت إلى الله من مقالته وموادته، وسألني التحلل. وذكر لي أنه كفر تلك الخواطر بتأليف صنعه في الرد على الفاسي والتشنيع بطريقته واعتقاده وما هو عليه من الفسق والفجور، عامله الله بنيته في الدنيا ويوم يبعث من في القبور"[2].

" وكنت سمعت منه مرة أنه رأى في بعض التواليف أن سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم تسليما – اسمه في الجنة إذا حل بها، عبد الكريم ذكر لي هذا تبشيرا لي بموافقة اسمي لاسم هذا النبي الكريم، فالحمد لله، على ذلك، وأرجو أن يكون الاجتماع مع هذا النبي الكريم في جنة النعيم، كما وقع الاجتماع معه في اسم عبد الكريم"[3].

" حتى أريت في النوم عاقبة أمره، فرأيت كأن قمرة في تمامه في أفق السماء إلا أنه ليس خالص الضياء لا نور فيه يستضاء به، وهو في دارته كليلة تمامه مشوبة حمرة وسوادا وخضرة فالقذر والدارة دارة البدر ليلة التمام، والصفة في ضوئه مخالفة له إذ لا نور له ولا ضياء سوى ما ذكرناه من تخليط وسطه بما ذكرناه من آثار طرق الحمرة والسواد والخضرة، فبينما أنا وغيري أتراءى له وهو صاعد في كبد السماء إلى أن سقط وتلاشى، فأنطقني الله أن قلت للجمع: قد ذهب عدو الله وسقطت بدعته"[4].

" وقال بشر الحافي: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم تسليما – في المنام فقال لي: يا بشر تدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار"[5].

---

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص89.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص100.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص104.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص163.

5 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص186.

7-عجائبية الإدلاء بالحجة:

" ولا يخرج إلى الشاذ في فتواه إلا لغرض دنيوي فيما رأيته وسمعته، وربما خرج عن الجميع، ويطرز فتواه بحكايات ونقول عمن كان عاصره وتوجيهات حتى يظنها الظان أنها صواب، وله فصاحة قلم دون لسان، وبالجملة له حظ وافر عمن سواه في المعرفة والاطلاع لم تكن لمن بعده وإن كان لم يصل بها من سبق"[1].

" فلما رأوا من حاله ما ذكر أرادوا فصل الموطن لتقع لهم فسحة في خلاصه، فجعل الوالي نفسه أنه قام غضبانا إذ لم يوافقهم على مطلبهم، وناداه القاضي: يا فلان أنت القاضي أو أنا هو القاضي؟ فقال له: في هذه القضية أنا هو القاضي أو كلاما هذا معناه، فخرج هو أيضأ غضبانة. فعندما رأى الجد من أحوالهم ما ذكر وأنهم غير منتصرين للدين ولا قائمين بواجب سيد المرسلين حلف وأقسم أنه لا ينتقل من مجلسه ذاك إلا أن يقام حق الله في ذلك الشقي، وقال لهم استفتوا أهل العلم والمعرفة فإن أخطات في قولي العهدة علي، وصمم – رضي الله عنه. وقام في حق الله وحده ولم يلو في ذلك عنانا، وربما يقول له ناصح نصح: إنك عرضت نفسك الأمر صعب من حنق الأمير والقاضي والعامة، فلا يزيده ذلك إلا شدة في ذات الله وحرصا على إنفاذ حكم الله.

فلما رأى أهل الشورى شدته في الأمر وانتصاره وعدم اكتراثه بمن قام أو قعد أراد أبو زكرياء قطع حجته فقال له: يا سيدي هذه من الأمور المهمة وحيث ظهر لك قتله فلا يكون بالقول فقط بل لا بد من خطك في القضية وإبداء ذلك بالبنان لا البطاقة للموافقة، ف كي أنه من إنصافه أقسم أن لا يضع خطه إلا أخيرا، وسارع إلى تقبيل يد الشيخ الجد – رحمه الله ونفع به. ووضع خطه أخيرة، ولم ينفصل المجلس إلا عن قتل باللسان، فعند ذلك أجابه الجد بان قال له أما هذا فنعم! وبادر لما أرادوه منه من الكتابة وأخذ بطاقة فوريا وسطرها بما وفقه الله إليه بديهيا من غير تروٍ ولا تفكر ولا تذكر.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص64.

ثم بعد فراغها قام على قدميه وقرأها على العام والخاص، فحُكي لي أن كل من سمعها خشع واغرورقت عيناه دموع، ونادي الجمع بالصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، وبهت القوم وأخر ص اهل الشورى ولم يقدر أحد برد كلامة ولا يخالف في مسألة بل بادر الجمع، أعني أهل الشورى، إلى موافقته ببنائهم وأفصحوا بأن هذا هو الحق بلسانهم وناولوا أبا زكرياء ذلك الشقي، وصدق الله يمين الجد وبر قسمه في حلفه أن لا يقوم من محله إلا أن ينفذ حكم الله في ذلك الشقي، ورجع الوالي وحكم القاضي بفتواه"[1]. أي حكم بفتوى الجد الفكون والقائلة بقتل المختاري وهذا من عجيب أصحاب المبادئ الذين لا يخافون في الله لومة لائم وذلك بإلزام العشيرة بحججه القاطعة والتمسك بها.

"فلما أن أخذت الكتاب وقرأته عليه بسط الله لساني بقراءته فكأنني إذ ذاك كاتبه او مؤلفه في سرعة القراءة ومتانة ضبط الكلمات وانتساق نظامها، فكمَّل درسه ذلك، اليوم وهو لا يلوي إلي طرفا ولا يستقبلني وجها إلى أن انقضى، وانصرف معه الصاحب ابن راشد إلى داره أو لقيه دونى، فذكر له أن كل ما كنت تقول عليه وجدته، أو كلام هذا معناه، فمن الغد لم يأت الممسك فأعطيت الكتاب أيضا فأعجبه قراءتي له، فلما أن عاد المُمسك للكتاب لم ير منه ما رأى مني، فاتفق الأمر إلى أن فارق الممسكُ الدرس حنقاً وبغضةً وحسداً لما رأى من بداية الإقبال من الشيخ المذكور، ففتَح الله لي وكُبت الحاسدُ ورُد سعيهُ وبالاً ".[2]

فهنا نرى ان الله تعالى بسط لسانه واحل كل عقده ليُفقه قوله، فيغيظ بذلك الشيخ الحاسد الذي لم يحسن ما أحسنه هو. "فبينما أنا ذات يوم مجتازاً عليه قاصداً الدار آتياً من المكتب وهو جالس في جمع أبي زكرياء المحجوب المذكور للمداعبة ونثر الحكايات اللائقة بجمعهم، إذ ناداني: يا فلان فأجبته، فقال لي: ما الجامع بين قول الله تعالى: "فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ"[3].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 65-66.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص109.

3 سورة آل عمران الآية (97)

وقول الشاعر[1]:

كاَنَتْ حَنِيفَةُ اثْلاَثاً ثُلُثُهُمْ مِنَ ** الْعَبِيدِ وثُلْثٌ منْ مَوَالِيهاَ.

فسكت واشتد بي الخجل أكثر من الذي نالني قبل من دعائه لي ومروري على جمعهم، وصار يؤنبني بمشهد ممن كر، وأنا أصغر وأتضاءل أمامه لعجزي إذ ذاك وقلة معرفتي"[2]. "وترصدت له حتى حضر بالنادي المذكور ورئيسه إذ ذاك أبو زكرياء المذكور وجماعة أهل المجلس الذين حضروا لإيراده على الإيراد المذكور أو جلهم، وقصدته، فلما رآني سارع بالاستطالة عليّ وإراءَةِ [3] التبحر في الفن المذكور، وناداني: ما لك يا فلان لم تجب فإنك لا تعرف شيئا أو كلام هذا معناه يقتضي السخرية والاستهزاء، فقلت له: أجبني أنت عن قول الشاعر:

إنَ هندٌ المَلِيحَةُ الحَسْناَءُ ** وأيّ منْ أضْمَرتْ لِخلٍ وَفَاءُ

ما إعرابه وما معناه؟ فوالله ما هو إلا من ألجم بلجام، واصفر تارة واحمر أخرى وقط في يده وبه من ساعته ولم يرد لي جوابا، ولا استفتح كلاما ولا خطابة، فلما رأيته كذلك زدت في تهييجه وهو يتضاءل ويرمقني من طرف خفي حتى فطن له الجمع "[4].

"اما الجامع بين الآية والبيت فهو أن كلا منهما طوى ذكر بعض وذكر بعضا. فالآية ذكرت من الآيات آيتين وطوت ذكر الباقي، والبيت ذكر فيه ثلثين وطوى ذكر الثلث الأخر، وهذا على من لا يجعل أن المقام احتوى على آيات. وأما بيان مقفل البيت الذي أوردناه على أبي إسحاق فهو أن معناه: عدي يا هند المليحة الحسناء وعد من أظهرت لخل وفاء. وتقرير ذلك: إن فعل أمر، وأي يئي إذا وعد وأكد بنون التوكيد الثقيلة فصار إن، ورفع هند بعده على حذف حرف النداء فهو منادى مبني على الضم، والمليحة نعت له على اللفظ، والحسناء بالنصب نعت له على

1 البيت لجرير يهجو بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وهو شاهد على جواز حذف بعض الكلام من الجملة لدلالة الباقي عليه. من قادة الشيخ محمد الطاهر التليلي جمعهم، وصار يؤنبني بمشهد ممن كر، وأنا أصغر وأتضاءل أمامه لعجزي إذ ذاك وقلة معرفتي.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 110-111.

3 أي إبداء واظهار.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص111.

المعنى وأما قوله: وأي فهو مفعول مطلق العامل فيه إن، وكأنه قال إيا هند وأي فهو أمر محذوف الآخر كقولك في وش من وقى ووشى "[1].

8-عجائبية وصفات الشفاء:

" ومآثره كثيرة تخرج عن المقصود، ومما استفاض عليه، وسمعته من ولد من جرت له هذه القصة معه، فأخبرني أنه كان صغير ورفعته والدته معها قاصدة زيارة الجليس زمان فعاده، وكانت والدته أصابتها جراحة في أنفها أعيت الأطباء ورغبت منها أن تكون أكله فوقفت بين يديه، إما قال لي وجدت بين يديه إناء من غائط وبولي، وهو يحرك فيه بعصي، أو قال لي قال لوالدتي إيتي به، الشك مني، قال لي فقالت له والدتي: سيدي ادع الله لي يشفيني، فقال لها على عادته في قبيح الكلام مع النساء: الدعاء منك التي لم تسقط مصارينك من كذا وكذا، بأقبح ما يذكر، ثم قال لها اقعدي يا منتنة، أو كلاما هذا معناه وهذا دكان كلامه فيما يذكر عنه أنه يخاطب الذكر بِياَ مُنتِن، والأنثى بيا مَنْتَنة ،وقال: فجلست، وجعل يخلط في ذلك الإناء بعصي ويمزج العذرة بالبول، وأخذ كاغداً وقصه على قدر الجرح المذكور وطلاه بالنجس وجعله على الجرح، فلما رأى أنها امتنعت استل عليها السيف الذي هو بإزائه، وجعل الكاغد المذكور على الجرح، وكان يقول في تخليطه للعذرة بالبول: خُرؤُنا هو دواؤنا، إلا أنه بكلام العامة. ولما جعل الكاغد على الجرح أوصاها أن لا تنزعه. قال لي ولدها: فلم تمكث إلا أيام قلائل حتى برئت، وسفط الكاغد ولم يبق بها ألم ولا للجرح أثر "[2].

فمن خلال هذه الوصفة نرى أنه استعمل أشياء نجسة في تكوينها ثم أعطاها للمرأة والتي شفيت بعد ذلك بوقت قصير فمن عجيب الأمر أن تشفي مخلفات الإنسان من الأسقام على حد زعمهم.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص112.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص156.

" ولقد قال إبراهيم بن أدهم[1]– رضي الله عنه – لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب. أولها: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثاني: تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالث: تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهل، والرابع: تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامس: تغلق باب الغني وتفتح باب الفقر، والسادس: تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت"[2].

"وأوصيكم بخمس خصال إن لزمتموها وصلتم واتصلتم، وإن أهملتم تُركتم وانقطعتم: أولها: لزوم الخمس صلوات في الجماعة فإنها العصمة من كل آفة. الثانية: مجانبة أهل العناد والظلمة وغيرهم من غير منازعة لما هم فيه إلا بشفاعة أو إرشاد بصحبة رفق. الثالثة: إذا كانت لكم حاجة لأحد من الخلق أو له عندكم حاجة فقدموا الدعاء في قضائها لتكونوا بالله لا بأنفسكم. الرابعة: القيام بحقوق الخلق بالرحمة للصغير والحرمة للكبير والشفقة على العاصي والتواضع للمطيع والإحسان لمن أساء إليكم والدعاء بالصلاح من غير حقد عليه ولا ذلة لأحد. الخامسة: الرفق بالنفس من غير تفريط ولا إفراط، فلا يزيد في الضحى على ست ركعات فأقل، وقبل الظهر أربعة وبعدها ركعتان، وقبل العصر اربعا، وبعد المغرب، ركعتان، ومن الليل عشر ركعات والشفع والوتر"[3].

9-العجائبيّة في الأفعال المبالغ فيها:

تقول الباحثة نجوى بوقدوم: " يعتمدُ هذا الشكل من أشكال (العجائبيّ) على التضخيم والغلوّ في الوصف، وعليه فهو ليس سردا تخييليّا صرفا وخالصا، بل يمتلك الكثير من الواقعيّة، إلّا أنّه يضفي بعض الغرابة والعجائبيّة على الموجودات والأحداث"[4].

" فإذا أردتَ تصنيف تمظهرات العجائبيّة حسب قوّةِ خرقِ المألوفِ فيها، فإنّ تمظهر العجائبية في الأوصاف المبالغ فيها لن يكون له مراتب ريادّية، لأنّ الخرق فيه يتعلّق بالمبالغة

1 إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي المتوفي سنة 161، وهو من مشاهير الزهاد، كان أبوه غنيا، ومع ذلك لم يبال بالمال وتفرغ للجهاد والعبادة. الاعلام1/ 24.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص184.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص195.

4 السّرد العجائبيّ، مقاربة نظرية، نجوى بوقدوم، مجلّة المقال، الع 5, جامعة باجي مختار، الجزائر– عنابة، دت، ص60.

في وصف ما هو مألوف، لا في إيجاد ما هو غير مألوف أصلا، وعليه "فإنّ هذا الفوق – طبيعيّ لا يبالِغ في تعنيف العقل"[1]

"منشور الهداية " زخر هو الآخر بالمبالغة العجائبيّة وهذا ما سنراه من خلال أفعال هذه الشخصيات التي ذكرها الفكون كل بعجائب أفعاله التي يمتاز بها. "وربما نالت منه العامة بسبب ما فعله وأمر به من وزن أمعاء الضأن وفؤاده، فلم يأتهم قوله على منهج عادتهم ولا أسلوب طريقتهم، وأوذي – رحمه الله – ويقال إنه خرج فارا من بعض خواصها"[2].

فالملاحظ هنا أن أحشاء الظان آنذاك لم تكل لها قيمة وكان عندهم من العجيب ان يوليها الشخص ذلك الاهتمام فيقوم بوزنها ووضعها موضع اهتمام. "فمن مواطنهما قضية المختاري أو غيره، وكان قبل أن يسلم يهوديا، ثم إنه أسلم فخدم في جملة شرط الأمير، فوقع ذات يوم مع بعض أناس له مشاجرة إلى تعاطي فيها جناب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما، فحبس وسجن، واستفتي في أمره أهل الشورى، وبلغ الأمر إلى الجد فقال بموته واشتهر الأمر إلى غيره منهم أبو زكرياء يحيى المذكور، وكان إذ ذاك مخالطة للولاة ولهم معه مشورة في أحوال الرعايا واستجلاب فوائدهم وتعصب جند الشرط وحراس باب قصبة البلد المذكورة ورفعوا أمرهم إلى الوالي وسلخوا أنفسهم من وظيفة الحراسة وغيرها مما لديهم، وقالوا في اعتذارهم إن يمت صاحبهم المختاري يتجاسر على جماعتنا ولا يبقى لنا بين أهل البلد حرم ولا عز، وعضوا ممن شهد عليه وقالوا إن أهل البلد يبغضون في جانبنا ونحو ذلك من نقولاتهم الملقنة لهم.

فأمر الوالي بإحضار أهل الشورى وانعقد بهم مجلس بالجامع الأعظم بمحضره القاضي وغيره وأكابر الدولة وغيرها، وحضر الجد – رحمه الله – وقرئ سجل القائل المذكور، فكل منهم قائل بقول أبي زكرياء، وأنه لا يلزمه قتل على ما أفتى به أبو زكرياء وجلب لهم من الأنقال وأتي بعدة كتب كالشفاء وغيره، وأحضرها المجلس، والعامة بصحن المسجد حاضرون وأهل حراسة

1 مدخل إلى الأدب العجائبي، تزفيتان تودوروف، مرجع سابق، ص78.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص195.

القصبة وكل جندها ينادون على رؤوس الملا: أنا خرجنا من الحراسة، ويقولون للوالي والقاضي: انظروا من يحرسكم، نحن خرجنا من ذلك الوظيف إن مات صاحبنا"[1].

ومن العجيب هنا ان نرى مثل هذه الأفعال في استماتة الجنود واستعدادهم للتخلي عن مناصبهم في سبيل هادا اليهودي كيف استطاع هذا الأخير ان يبث فيهم كل تلك الروح؟ وأهواؤهم متبددة، يود كل منهما وقوع منتهى الشرور بصاحبه"[2]. ومن عجيب المفارقات انك تجد مثل هذه الأفعال التي باطنها العذاب وظاهرها الرحمة.

" فيأتي الأول من الفريقين بإظهار محبته له ومودته ورسوخ مواصلته ويمزق من عرض عدوه المواجه له ما يقطع به ظهره ويخرجه عن دائرة المسلمين ويريه أن العدو المذكور يترصده بأمور يخفيها له ويدسها ويريه أن ذلك منه تضح، ويأمره وأن من المكيدة له أن يفعل لذلك العدو كيت وكيت، ويريه أبوابة كامنة وغير ذلك من مداخل الشيطنة ما ينشرح به صدر المواجه له ويقطع بأن أبا عبد الله المذكور من أعالي أحبابه ونصحائه، فلا يزال به كذلك حتى ترسخ في قلب ذلك المواجه له فينصرف وقد رضي منه أبلغ رضى. صافحه وسأله عن حاله وما هو فيه، ويبدي له التألم من أجله وما ناله عن عدوه الذي كان عنده، ويخبره بكل ما كان بينه وبينه إلا أنه لا يذكر له مساعفته لذلك العدو على الغدر والمكر بالخصم المذكور، ويزين له أقواله وأفعاله ويذكر له أنه رد على عدوه قوله وما يريد من الغدر لعدوه، ويستظهر على ذلك بالأيمان المعهودة منه والعهود المألوفة، وغالب أيمانه أنه لا يموت مسلما، ويذكر لذلك الخصم أنه منه ومن جهته وأنه في معاضدته وأن الرأي والمشورة أن يقابل عدوه بمكر وخديعة يبديها لذلك الخصم لم تخطر ببال ولم تقع على قلب من أهله لها وأجراها على لسانه ويسرها عليه فيركن له ذلك الخصم ويذعن لقوله وينشرح صدره لقبول ما يأتي من قبله، ويبدي له ذلك الخصم كل ما عنده وما كان عازما عليه من امر خصمه، فيرجع من عنده وقلبه مطمئن وفكره منشرح لوقوع الظفر بخصمه وغلبته، فإذا سمع به خصمه وأنه جاء خصمه من عنده أتاه ليذكر له كل ما جرى بينهما من الرأي ويجعل ذلك كله من راي خصمه ومكيدته وأنه يترصد له بذلك الدوائر ويغريه على أمور تحدث له ويحلف

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 64-65.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص83.

بأيمانه الفاجرة أنه زجر خصمه ولم يره وجها ولا قابله ببشاشة، فيطمئن قلب ذلك الرجل ويغتر بأيمانه الفاجرة.

ولا يزال كذلك دأبه بين الفريقين وشأنه بين الغريمين والخصمين إلى أن يقضي إربه منها إما برشوة كاملة من أي أنواعها عينا أو ملبسة أو رباعة أو غير ذلك، وإما بقضاء وطره من بلوغ أمنية وظفر بعدو وغير ذلك مما يتفق له ويساعده الغدر، حتى كل الخصمان ويعي الفريقان فيردهما بعد ذلك إلى شيء يصطلحان عليه"[1].

ان أفعال هذا الرجل لعجيبة انه عين الفتنة التي لا مثيل لها في البلاد! "وأما تكبره عن عباد الله وانتقاص المسلمين والسب في المؤمنين فكاد لا يخفى على إنسان، ولا ينازع في وقوعه اثنان، فلا تجد أحدا يذكر بحضرته من كان مبغضا له إلا ويشتمه ويتزايد في لعنه وسبة إلى أسلافه وآبائه، وإن أردت أن تعظه أو تذكره تحريم ما صنع وعدم حليته إلا وهو يرقك بعين البغضاء، وتنتفخ أوداجه وتحمر وجنتاه خنقا وغيظا ويترامى به الحال في ازدياد السب واللعن إلى ما يؤدي إلى كفره، والعياذ بالله، ويكون إذ ذاك منكيا[2] بذلك لمن أنكر عليه ويظهر من نفسه أنه أكبر ممن يعظه واعظ وأهدى سنتين وطريقه من أن ينكر عليه منكر"[3].

فالقارئ يتعجب لمثل أفعال هذه الشخصيات اللعانة والمتكبرة والتي لا يسلم منها أحد، والغريب في الأمر كذلك أنك ترى حتى ذلك في سمات هذا الشخص الذي يتغير شكله الجسماني الخارجي. "وأما تكالبه على الدنيا وانكبابه عليها فهو أشهر من أن يذكر، وأوضح من أن يسطر، فتراه في جمعها يرتكب أمور، لا يبالي بها من ضيعة أو هلكة.

هذا مع تغييره للشريعة وتجاهره بالرشا وجمع حطام الدنيا وعدم اكتراثه بالأوامر الشرعية وتسويغه للعامة أو من كان على شكله من الخاصة، أمور لا يرضاها من في قلبه مثقال حبة من إيمان، وتسهيله لهم الأمور الشاقة في النواهي والزواجر، ويهتك حدودها فعلا وقولا حتى إن من يراه متوقف في ارتكاب ذلك أو كان على وجل من قوارعها يقول له جهارة: افعله على رقبتي،

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 84-85.

2 من النكاية.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 86.

فتهرع إليه العامة وبعض الخاصة لجبلة النفس على ما جبلت عليه من حب الهوى وارتكاب المحظور"[1].

"وإن كان حكي لي عن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن صغيرا الطعن عليه، فتلك أمة قد خلت، وكذا لحكي لي الطعن منه على الغراب المدفون بعين الحامة خارج قسنطينة، وربما قيل إن الشيخ عبد الرحمن أمر تلامذته بضرب الغراب حين فاجأهم اللقاء، وكان الغراب راكبا على حصان فبال دما، قيل لي فقال عند ذلك للشيخ عبد الرحمن: إنك أمرت تلامذتك بضربي، فالتفت الشيخ لأصحابه وقال لهم: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا"[2] والله أعلم بحقيقة الأمر. وكان الشيخ المذكور فيما يقال يظهر التكبر كثيرا على مثل هؤلاء، وجعل قصيدة فيهم وفي نظائرهم من مبتدعة زمانه"[3].

"ولقد حكي عن هذا الرجل المدعي قاسم بن أم هانئ أنه نصب خباه عند بعض رؤساء الظلمة المتلصصة على عادته القبيحة وعادة أمثاله من اخذ العوائد والزكوات على اللصوص، فأعطاه اللص ناقة في جملة ما أعطى، فاتفق أن كانت تلك الناقة لأرملة ذات أيتام استلمها لها اللص في جملة من أخذه، وهي عاكفة على باب الظالم مستشفعة في ردها عليها، فلم تشعر أن قيل لها إنها خرجت يده القاسم بن أم هانىء، ففرحت غاية الفرح واستبشرت غاية البشري، ظنا منها أن السراب يروي وأن العفار لا يكوي، فأقبلت مسرعة وقالت له: يا سويدي الحمد لله الذي رد حاجتي ليدك او كلاما هذا معناه، إن الناقة التي عندك أعطاكها فلان هي لي وأنا ذات أيتام وقلة حال. فرمقها بعين البغضاء وكاد أن يهتم بها، على ما أجهزت عنه، وانتهرها أشد انتهار ولم يخش عقوبة الملك القهار، وقال لها: إنني لم اخذها منك ولا أنا غصبتكها وإن الشيخ فلان أعطانيها. اذهبي أنت إليه. فرجعت القهقري وخاب ظنها إلى ورا، وعبث بالاستشفاع إليه بالله

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص86-87.

2 سورة (مريم)، الآية 83.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص117-118.

ورسوله والأولياء، فأبى وأمر زبانيته بطردها وردها كئيبة خاسئة، وهي تنادي بالويل وتبكي على ناقتها، ويقال إنه رضي بردها على الظالم وأعطاه بدلها ولم تسمح نفسه بردها على ربتها"[1].

انظر أي هذه الأفعال الشنيعة التي يعجب لها العقل انه لا يكتفي بجمع حطام الدنيا بمختلف الأساليب فقط، بل يذهب حتى إلى أن يحرم تلك المرأة الأرملة من ناقتها رغم ما قامت به من توسلات أين ذهبت ضمائر مثل هؤلاء البشر، إن قلوبهم مثل الحجارة أو اشد قسوة.

" أما الزوايا والرعايا فكل يقسم ببركة سيده، فإذا أردت أن تعرف أحدا من أي حزب ومن أي فريق فاستحلفه فيتضح الأمر بحلفه، فإن كان من أتباع ابن أم هانئ فيكون قَسَمُه ببركة ابن أم هانئ، وإن كان من أتباع محمد بن الحاج فيكون قسمه بأنه يقطعه سيدي محمد الحاج"[2].
مثل هذه الأفعال العجيبة إشراك، فلا يتوجب القسم إلا بالواحد القهار، وهؤلاء ذوو عقائد فاسدة يسودها الجهل وتقديس طوائفهم.

" ويذكر أن سبب توبته أنه قدم ذات مرة من جبل أوراس في معظم الثلوج والقر والأمطار، فوجد الشيخ الجليس برحبة البلد راكب على حصانه أو غيره، فلما رآه واجهه وألزمه المشي معه واتباعه، فلم يمكن أبو العباس أحمد بن بوزيد إلا اتباعه، فيقال إنه أتى إلى محل عظيم الثلج كثيره فأضجعه فيه وغسله بالثلج غسل الميت أو نحوه حتى لم يبق منه محلا، ثم لما فرغ من ذلك قال له: قم الآن. فكان ذلك سبب رجوعه الله، وكأن ذلك الفعل منه له تطهير الدنس الأوصاف التي كان منصفا بها"[3]، ومثل هذه الأفعال عجيبة في نظر القارئ .

والمتأمل هنا يرى أن هذا الشيخ بعد غسلهِ الرجُل بماء الثلج البارد قد انتَهج نفس الطريقة التي امر الله تعالى نبيه أيوب ليركض برجله الى المغتسل البارد، فمن العجيب ان تجد في مثل ذلك المجتمع الذي يسوده الدجل والادعاء كهؤلاء الرجال ذوو الحكمة البالغة فأمثالهم قليل.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص125.
2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص142.
3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 158-159.

"جناية وأي جناية عند هؤلاء القوم! وما هي إلا اجتماع أجلاف وأخلاط من نساء ورجال، واستعمال الحضرة وشطح ومصارعة وكذبات في نوم أو يقظة، فلا تمر الجمعة إلا وصاحب هذا الفعل قد رمقته العيون، وتوسمت فيه الظنون، وارتفع إلى رتبة الفنون، فإذا هي جنون وأي جنون"[1]. على الرغم من الأفعال الشنيعة التي كانوا يمارسونها من اختلاط وغيره، وترى انه من عجيب الأمر انه كانت لهم مكانة رفيعة بين من كانوا يتبعونهم.

"أن انْجَرَّ الأمر إلى أن أخبرني أنه في هذا اليوم صائم، فقلت: يا الله وللعجب! الولي يجهل تحريم صيام هذا اليوم؟ فقلت له مبادرة: أفطر فإن هذا يوم حرم الله صيامه، فأراد أن يفصح ويتدارك فاستعجم وافتضح فقال: إن هذا يوم رابع، قال أخبرني سيدي فلان أن هلال الشهر رأوه بكذا مما يجعل ذلك اليوم الرابع، فقلت له: واليوم الرابع لا يصومه متطوع ويصومه من ذره أو من كان في صيام متتابع قبل ذلك. فافتضح أمره وألزمته الفطر، فأفطر بين يدي"[2].

ومن عجيب الأفعال كذلك انك تجد من يدعي العلم والتفقه فيه الى انه لا يمت له بصلة ؛ فهو هنا يخالف الشريعة السمحاء بصيامه في مثل هذه الأيام المباركة.

"محمد البلدي والدخول على النساء. وكانت له والدة وهو معها عاق، وبلغني أنه ضربها وجرحها بالسكين، وبعد مدة صار كأنه لا عقل له ولا ميز، وربما اعترته وسوسة أو جنون يحمله على استعمال المياه والإكثار من صبها على بدنه وثيابه، وكان للناس به اعتقاد وحسن ظن. ولما اشتهر أمره صار الناس يدخلونه دورهم لا يحجبون منه نساءهم، وممن فعل ذلك الوالد – غفر الله له. وأنا لا أرضى ذلك، وفي قلبي من ذلك ما يعلمه الله، وكنت أحجب منه الزوجة ولا أبيح له النظر، وهذه هي الطريق المستقيم والخير كله في الاتباع. وهذا الرجل يفطر في رمضان ولا يصومه بل ولا يصلي، وإذا قيل له صم يا فلان، يقول: وأين الصوم؟ وأين شروطه؟ فيتخذ ذلك الناس والجهلة قسطاس وحكمة نطق بها"[3].

---

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص170.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص170.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 172-173.

إن هذا الرجل يتصف بالعقوق لوالدته ؛ فمن عجيب أفعاله انه ضرب امه بسِكينة كما انه مخالف لكثير من أوامر الشريعة ؛ وبالرغم من ذلك بل والأعجب منه انك ترى الناس يزكونه، بل حتى يدخلونه دورهم ولا يحجبون نساءهم عنه. "وقد فضحته شواهد الامتحان أن تعلق بامرأة وتعلقت به، وكان يحميها حماية الفحل في حال هيجانه، ويخلو بها ليلا ونهارا، وحين سأل المرأة فتذكر أشياء ما يوجب الحد عليها شرعا وعليه لو أقر به، وتقول: إن الأولياء أعطوني له أو أذنوا له او نحو هذا من ترهات أهل البدع، إلى أن ظهر بها حمل، وهو عليها مسترسل كذلك في الخلوة بها والمبيت معها، وهي تلهج بنسبته إليه ونسبة ما يوجب الحد الشرعي كما ذكر، وفشا أمره وظهره، فسقط من عند قوم هداهم الله للصواب، ولم يزل آخرون على اعتقادهم قائلين: إن الأولياء أمروه أو أعطوه المرأة"[1].

مثل هذه الأفعال يتعجب منها القارئ من هم هؤلاء الأولياء الذين أعطوه الحق في امتلاكه لتلك المرأة؟ كيف له ان يعلق بها هذا التعلق العجيب؟ ما الذي جعله يهيج في سبيل حماها كل هذه الأفعال العجيبة جعلت منه تارة محل ازدراء بين قومه وتارة محل اعتقاد بالولاية وهذه المفارقة شيء عجيب في هذه العشيرة.

"وكان إبراهيم بن أدهم – رضي الله عنه – يحفظ گرما فمر به جندي فقال: أعطنا من هذا العنب، فقال: ما أمر به صاحبه، فأخذ بضربه بسوطه فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأسا طال ما عصى الله تعالى، فأعجز الرجل ومضى. أترى إبراهيم في فعله المذكور جارية على الجادة والطريق المستقيم أم القوم المذكورين الذين إذا تعرض لجانبهم أو أوذوا، يتوعدون الناس ببركتهم ويخيفونهم بجاههم ومنزلتهم؟"[2].

وكان هذا عرضا لبعض المبالغات الواردة في "منشور الهداية"، أين عمد ابن الفكون في بعض الأحيان إليها؛ رغبةً منه في جذب انتباه القارئ إلى ما يصفه. وجاءت المبالغة في أحيان أخرى عفويّة، حتمت عليه الظروف التي كانوا يعيشونها آنذاك، فانطبَقَ عليه ما قاله الجاحظ:"

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص177.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص184–185.

إذا استوحش الإنسان تمثّل له الشيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب، وتفرّق ذهنه... فرأى ما لا يُرى... وتوهّم على الشيء اليسير الحقير، أنّه عظيم جليل"[1].

ومهما يكن من سبب جعل ابن الفكون يبالغ في وصف أفعال هؤلاء، فإنّ ما قام به ساهم مساهمة فعّالة في إلباس "المدونة " حلّة العجائبيّة.

10-عجائبيّة الكرامات:

بما ان المدونة يعنى بالأولياء فسنولي اهتما خاصا لهذا التمظهر المتمثل في **الكرامة**، فماهي الكرامة؟ وما رأي العلماء فيها؟. "هي ظهورُ أمر خارقٍ للعادة على يد الوليّ، غير مُقارنٍ لدعوى النبوّة، وهي عون على طاعته، ومقويّة ليقينه، وحاملةٌ له على حسن استقامته، ودالّةٌ على صدق دعواه في الولاية، إنّ ادّعاها لحاجة، وشهدت له بها الشريعة"[2] فالكرامة إذا أمر خارق للعادة يُظهره إنسانٌ صالح متّقٍ ملتزم بحدود الشرع، شرْطَ أن لا يكون نبيًّا، وهذا الإنسان الصالح اصْطُلِحَ على تسميته بالوليّ؛ مصداقا لقوله عزّ وجلّ: "أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ "[3]، وقوله أيضا: "إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ"[4].

وكما أثبت العلماء حدُوثها، فقد حذّروا من **القصص المكذوبة حول الكرامات**، أو من اختلاطها مع **السّحر**، وعلى رأس هؤلاء الإمام ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه الموسوم بـ "الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان" الذي قال عنه محقّقه:" هو أحد الكتب التي تحمي ثغرا من ثغور العقيدة في مفهوم ولاية الله، وتبطل ما يدّعيه أدعياء الولاية والسّحرة وأشباههم من الأحوال الشيطانية"[5].

---

1 الحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام محمد هارون، الج 6، مصطفى الحلبي البابي وأولاده، مصر– القاهرة، ط2، 1967، ص250.

2 بستان العارفين، النوويّ يحيى بن شرف، تح: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، لبنان– بيروت, ط 6، 2006، ص291.

3 سورة يونس، الآية: 62.

4 سورة الأعراف، الآية: 196.

5الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تح: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار المنهاج، الرياض، ط 1، 2007، ص7.

ولم يكن ابن الفكون بمعزل عن مجتمعه؛ فقد نقل في "منشوره" عدَدًا من الكرامات، غيرَ أنّها جاءت متشابهة، متقاربة المضامين، مع اختلاف في أسماء الرجال الصالحين وسيتبين ذلك من خلال ما اقتبس.

" فكان يقال إن الشيخ الزروق أخذته حالة إلى أن جعل الصبي، أعني أبا حفص على كفه، وجعل يمشي به من طرف البيت إلى الطرف الآخر، وهو يقول: اللهم تقبله مني على أي حالة كان، هكذا تنقل هذه الكرامة. وربما نقلت عن الشيخ الوزان، رضي الله عنه، ما يؤيدها، فكان يقول: أنا دعوة الزروق، رضي الله عنهما ونفعنا بهما وبأمثالهما"[1].

"ومن كراماته، رضي الله عنه، ما يتحدث بها أنه خرج ذات يوم في قيلولة شديدة على باب البلد في غير عادة خروجه، فاتبعه رجل من الطلبة يقفو أثره ولم يعلم به الشيخ، والشيخ، رضي الله عنه، ماش نحو الكدية، فخرج عليه رجل وتكلم معه مليا ثم انصرف فلحق بالشيخ الرجل الذي يقفو أثره، فسأله عن الرجل الذي كان يحادثه، فقال له الشيخ: أرأيته ؟ فقال له: نعم، فقال له: هو القطب "[2]. "وأخبرت أنه اغتسل وجدد ثيابا نظيفة، حكت لي الجدة أنه قال لها لأني أتلقي بها الملائكة. وحكى الوالد أنه نصب يديه في أوان احتضاره واستقبل القبلة كالمطلع على شيء وهو يقول: الشفاعة يا رسول الله! الشفاعة يا رسول الله! ما زال يكررها وهو كالطالب من شخص أمامه إلى أن رد يديه إلى وجهه ماسح بهما وجهه قائلا: الحمد لله الذي لم قبلنا أو كلمة نحوها، ثم أمر بورد من الصلاة على سيدنا ومولانا، ثم بلا إله إلا الله، إلى أن حضره الغشي، استبصروا وتفطنوا لما كان وعدهم وسارعوا إلى ما أمرهم به من رش وجهه بماء الورد المعد لذلك، فرش وجهه فأفاق قائلا: لا إله إلا الله أو نحوها، ولم يزل يردد كلمة التوحيد في حال إفاقته وانتباهه حتى غلب. حكي لي أن ذبابة نزلت على شفته فلم يستطع إزالتها إلا بالنفخ اليسير ولسانه لم يفتر إلى أن قبض – رحمه الله – فكان له مشهد عظيم، وحضره خلق كثير"[3].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص36.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص37.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص51.

"دعوته – رحمه الله ورضي عنه – وذلك أنه لما كان في آخر مرضه وكانت والدتي حاملا بي، وكانت تعز عليه كثيرا فسالته الدعاء، فأخبرت أنه قال لها: جعل الله عمارة الدار منك، وأخبرني والدي – حفظه الله – أنه رييء بعد موته فسئل عن حال الملكين؟ فقال: لم أر إلا شخصين جاءا فوجداني أقرأ قل هو الله أحد فوقفا وانصرفا، أو كلاما يقرب من هذا"[1].

" وحج في آخر أمره وأعقب ولدين أحدهما مسمى محمد والثاني كذلك إلا أنه لقب بالتومي حج هو أيضا بعد والده، وولداه أنجب منه وتعرضا للفتوى خطة والدهما في زمنه ترفع يده، ثم إنه تولى هو ورفع ولداه يديهما.

وكان هو ممن له معرفة بأحوال دنياه ويجريها على قدر أهلها، وكل من يجلس معه لا يقوم من عنده إلا راضيا عنه في غالب أحواله، وإن كان له نقص عقيدة فيه إنما يكون بعد ذلك لما أعطاه الله من سلاسة المخاطبة واستجلاب الخاطر وجلب النفوس إليه بالحضرة"[2].

" ولما أن أراد الله فتح البصيرة في فن النحو لازمته لإقراء الكتاب له ولمن يناظر عليه، فكنت أستحسن ذلك وأصغي لأشعار شواهد الفن، فما هو إلا وقد حصل لي ذوق ما، فكان هو بعد ذلك يعيد على التقرير بعد أن يقرر لأصحابه، وكنت قبل ذلك قرأت الأجرومية وحدها ثم بخالد[3] عليها ثم بجبريل عليها، قرأت ذلك على الشيخ أبي الربيع، ولم أحصل من ذلك على طائل إلا على رفع الفاعل ونصب المفعول وخفض المجرور، ولا أستطيع أحسن الفرق بين ذلك وما لابسه من جهة المعنى حتى حصل لي بداية الفتح الإلهي من أجل المناظرة المذكورة وتحقيق بركة رؤيا الجد عبد الكريم المذكور"[4].

" فلما أن كانوا بالطريق خرج عليهم متلصصة ريغة[5]، فسلبوهم فأخذوا جميع ما كان معهم فقدموا جبل أوراس الذي به سكنى ابن أبي زيد المذكور فاتصل خبرهم به فأتاهم وحملهم إليه،

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص52.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص81.

3 يقصد خالد الأزهر صاحب كتاب (قطر الندى).

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص106.

5 ريغة عرش موقعه غرب بلدية عين ولمان، وعنه بطن أولاد إبراهيم وهم قوم الشيخ محمد البشير

وبعد يوم أو يومين أو نحوهما قصد بوالد الحاكي الحكاية، المتلصصة بقصد رد ما أخذوا لهم فوصلوا إليهم وخاطبهم، فلم يلتفتوا لقوله وردوه كما جاءهم خائبا، فبقي في الخلوة التي له نحوا من سبعة ايام.

ثم إنه خرج منها وحمل الرجل وأولاده وزوجه قاصد بهم إلى قسنطينة، فلما كان في أثناء الطريق ببيداء من الأرض أجرى فرسه مرة وثانية إجراء من يحارب غيره وأسقط رداءه على منكبيه وعمامته سقطت على رقبته، وهو في أشد حال من العنا وهو إذ ذاك بحال جذب ورد عليه، ثم التفت إلى صاحب له أتى معه فقال له: إن فلانا قتل وفلانا قتل وفلانة ماتت فرشه حتى عدد جماعة من القوم الذين ردوه خائبا ودخل الخلوة بسبهم. ثم إنه أتى بهم إلى البلدة. قال الحاكي وبقينا نحوا من سبعة أيام لا نسمع خبرا عن أولئك القوم، وبعده أتى الناس فتحدثوا بموت كل من قال وإهلاكهم، وذلك بسبب غزوة غزاها عليهم العباسي، والله أعلم بحقيقة الأمر.

والغالب على هذا الرجل الجذب، وكان أمية إنما يقرأ بعض شيء من القرآن أو كله، لا أدري حقيقته إلا ما أسمع عنه من أحواله فهي مرضية"[1].

11-عجائبية الدجل والادعاء:

" وكان يتعاطى التفسير والفقه ويدعي الأستاذية في السبع ومعرفة أحكام القران"[2]. "ثم بعد ليال قلائل قدم ونزل على بعض الطلبة واجتمع بي وأتاني بعد ذلك بكراريس على القرطبية، وندبني إلى التأمل فيها وما كان فيها من الإصلاح طلب مني إصلاحه، ولم أشعر أنها له إلا أن الشك داخلني من قوله: أصلح ما رأيت فيها غير موافق، إذ لو لم يكن له ما أذن في الإصلاح فتأملتها بالليل فإذا هي محتوية على فساد فظيع فوقفت في الورقة على ما يزيد على الخمسة مواضع، وإذا هو يضع التأليف المنقول منه أمامه وينقل فيه، فما طابق في الأصل نجده مطابقة وما خرج عن ذلك نجده مسطرة في غير موضعه، فوقفت على عدة أماكن في كل ورقة يقول لي: تأمل وأنظر وأعد النظر ونحوها. بعد ذلك انتمى إلى بعض المتشبهين بزي الفقهاء من أهل العصر، فأشاد بذكره ونوه به واجتمع عليه حاشيته وأصحابه للإقراء، وانتصب للتدريس ونسي ما

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص159-160.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص70.

طلب من القراءة وطلب الإفادة. وحضرت مبدأه بعد إلحاح منه، فأخذه عارض الدهشة والرعب والخجل عند استقراري بالمجلس وصار كأنه في بيت مظلم عشر عليه الخروج من بابه والعثور عليه يتشبث بكل حائط لكي يجده فلا يستطيع، حتى إن من أعظم ما سمعت منه إذ ذاك أنه قال: اختلف في نبينا محمد وموسى أيهما أفضل؟ والمختار أن نبينا أفضل، فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يهذو هذيانه أو زاغت به آراء أهل البدع، فقلت للطالب اقرأ في الأجرومية. وقمت منصرف. وبعده اشتهر عنه أن القدرة الة وأنه لا يجوز وصف سيدنا النبي – بالسيادة في الصلاة ونحو ذلك من الأمور. وقد أودعنا بعضها تأليفنا المسمى (بنظم الدرر في شرح المختصر) لسيدي عبد الرحمن بن صغير (الأخضري)، وبقي على ذلك مدة وهجرته الله ولما تقل عنه وما عليه اعتقاده. ثم بعد مدة راجع الأمر وذكر أن المنقول عليه إنما هو كذب، وأبدى لي أخوة صادقة فواخيته لأجل رجوعه وانتهائه، واعترف بالقصور"[1].

"ومن معرفته بأحوال الدنيا وأهلها أنك تراه لا تغيب عنها شاذة ولا فاذةٌ من أمر المشغباَتِ على الناس بل على أهل بلده إلا وهو حاضرها وحده أو باشتراك، وينسل منها حتى تقطع يقينا في زعمك أنه لم يكن له علم ولا دراية وأنه بريء مما وقع أو نسب إليه، كل ذلك من حذقه وخبرته بأمور تخفى على غيره"[2].

"وكان أبو عبد الله المذكور جادا في طريقة الإذابة والنكاية والإغراء بين المسلمين والغواية، وربما كان ذلك سبب ترأسه واختيار العامة له، فكانت تلك الطريقة له إعانة على ما يرومه من قبول الرأي وصرف وجوه عامة البلد إليه وجل خاصتهم، وسبيها الوشي المذكور وتطريزه لهم بالإيمان الكاذبة والعهود الفاجرة، فكانت سيرته أن يأتي كل قوم وكل شخص بما يحب من إذائة عدوه"[3].

"وأما العلم فهو اجهل ممن رأيت وأحمق ممن لاقيت وإن كان يتصدى لإقراء المختصر والرسالة، وأعجب من ذلك تعاطيه لابن الحاجب في ناديه مع جمع عمتهم الجهالة، فلو كان في

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 74-75.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص82.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص84

زمن محتسب الله لكان له معه شان وأي شأن ! يخبط فيما يتصدى له خبط عشواء، ويتجرا على من له الأمر كله وهو القاهر فوق عباده، ولعمري لا يصلح لأن يقعد بين يدي العلماء فضلا أن يتسمى بالعلم أحرى أن يتصدى للتدريس، لكن غباوة الجهل وقلة الحياء من الله وخراب البلدة وكثرة العامة هي التي جراته على ذلك، وزاده حب المدحة والافتخار"[1].

"ونحو ذلك من معنى سخف قوله الذي يتصنعه لهم ويتمشدق به عندهم، عامله (الله) بنيته، وجازاه على قوله وطويته فلم يرع أبو العباس المذكور، وأنا أقرا عليه المسطور، وأشرحه له شرحا يظهر الخاصة والجمهور، إلا وقد انكشف العوار، وظهر له ما أسروا من الأسرار، فيا لها خجلة أورثت الذل والعار والمسكنة والغار، فالحكم لله الواحد القهار. فبهت من حينه، وكاد العرق أن يسيل من جبينه، وأقسم بعد ذلك أنه لا علم عنده بما احتوت عليه البطاقة، وأنه بريء مما نسبه إليه ورمى الأمر إلى غيره من أقاربي وغيرهم، فلم أبال بذلك واعتمدت على الله وتوكلت عليه ووكلت أمورهم إليه وهو خير الحاكمين. فهذا بعض ما وقع من ترهاتهم وما انطوت عليه أفئدتهم"[2].

"فاعلم أن هذا الرجل كان في ابتداء أمره ذا سمت حسن بأن جانب جبايا زواياهم إذ لأسلافه رعايا يؤدون لهم الأعشار والزكوات، فكان ذلك الرجل مباعدة لأمورهم مشغولا عنهم بجعله لنفسه خلوة في أماكن يعدها ويواظب على الصلوات والصوم، ويري تناول أكله لطعام الشعير ويتقشف في لبسه بلبس الغرارة والمرقعة حتى أمال القلوب إليه وأصغى الأذان نحوه وأشارت بالألف إليه الأصابع وسبب ذلك أن رعاياهم امتدت إليها أيدي اللصوص فلم يبق لها بينهم حرم وصاروا يأخذونهم حيث ما وجدوهم إلا أن يجعلوا غرامة عليهم للصوص وذلك بعد موت جده الأحسن المذكور، وخصوصا لما وقع لولده أبي عبد الله محمد من القيام وشق العصا بجبال قرب نقاوس ما هو مشهور، وخرجت إليه عساكر قواد قسنطينة، وافتضح أمره وهرب إلى بعض نواحيها، سقطوا في أعين الخاص والعام، وصارت الأعين ترقبهم بما فعل والده"[3].

---

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 87-88.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص99.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص118-119.

تبيان الحالة التي وصل إليها العلم الذي أصبح غاية في الكساد، وتراجع مكانة العلماء والعجيب في الأمر ارتفاع مكان أعلام الزندقة والطائفة البدعية فابن الفكون راح يفضح أعماله الدنيئة والعجيبة التي يلتجئون إليها لتحقيق مبتغاهم، وإشباع نزواتهم وملء جيوبهم بشتى الطرق، فقد أظهر عوارهم وفضح أسرارهم أصحاب الشعوذة والدجل الذين أسماهم مدعي العلم والولاية.

" فبقي على ذلك مدة حتى فشا خبره وانتشر أمره وصار بين اللصوص كالطاعون في الفرار منه، وأتخذه الناس الجهلة مقطعة للحقوق وطريقة لبلوغ مرادهم، فأظهر إذ ذاك البدعة وأشهر الخدعة وجعل تلامذة سماهم الفقراء، على طريق أهل البدع، واتخذوا الحضرة، وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، بها يأكلون ومنها يتمولون وعليها في قضاء أوطارهم يعولون، يجتمعون لذكر المولى جل جلاله فيغيرون اسمه ويشطحون ويرقصون وربما يتضاربون، فتراهم ككلاب نابحة، ولعابهم كمياه طافحة، وأنفاسهم كنيران نافحة، لا يفرقون بين واجب ومندوب ولا محرم ومكروه، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح، والطريق الأقوم الراجح "[1].

" فمن قبائحه المأثورة وطريقته المشهورة أنه إذا رأي أو سمع عند أحد من أهل رعاياه بفرس تعجبه أو بغل أو نحو ذلك مما هو في غاية الحسن ينزل عليه ويقول له ذلك الشيء هو لي فإياك وبيعه أو إخراجه لغيري، فيجعل يده عليه فلا يقدر ربه على بيعه أو هبته ولو كان في غاية الضرورة والاحتياج إليه حتى يأتيه فيأخذهما مجانا وإما بثمن بخس وإما يفرقون له ثمنه رعاياه عليهم يؤدونه لصاحبه، وإذا شح ربه في ذلك أو استقل ثمنه فيذكر لي أنه إما أن يوعده بنكبة تناله أو مصيبة تصادفه في النفس فما دون، فما وافق القدر من ذلك تحدى بها كرامة ويشبعها زبانيته وأهل طريقته ليتوصلوا بذلك إلى أغراضهم الفاسدة في إقالة مرادهم واستعطا اللصوص لهم والأمراء والعامة ومن طبع على قلبه بطابع الطمع من الخاصة، ويتأدب غيره من أهل رعاياه وغيرهم فلا يبقى له معه متكلم في كل ما يريد منه أو يحتاجه. وإذا لم يصادف القدر ما أوعد يغري عليه اللصوص بأخذ ماله أو معاقبته من حيث لا يشعر ويجعل ذلك كرامة له هو

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص119.

وأهل شيعته. فأنت ترى سيرة هذا الخبيث والعياذ بالله كيف جمع في فعله المذكور بين الغضب والسعاية والزندقة المحرمات"[1].

" ومن أوصاف هذا الرجل، ومن كان على شاكلته من أهل الأهواء النفسانية، التملق إلى الظلمة وحب الاجتماع بهم وأخذ أموالهم، وربما يطلبون ذلك بأنفسهم أو يجعلون نقباء لهم يسارونهم بما في ضمائرهم فيترجمون على السهم إلى اللصوص ورؤساء الظلمة بأن الشيخ أراد منهم كذا أو له عندهم عدة، ويسمونها هم (وعدة)، ويتوعدونهم إن لم يعطوهم ما طلبوا بالقتل فما دونه ويجعلون ما أصابهم حين دخول المعركة لمقاتلتهم مع بعضهم بعضا، من مناقبهم وكراماتهم، كما تقدم وقد علموا أن من دخل الحرب الغالب عدم سلامَته نفساً أو مالاً إلا أن العقول التي أعماها الضلال، لا تستنير بنور ذي الجلال"[2].

" ولقد كي لي عن هذا المبتدع أو غيره أنه قصد حلة بعض كبراء اللصوص للمبيت ففرح به وأحسن لقياه واتي إليه بانية الطعام وذبح له كبشا سمينا أو نحو ذلك، فلما أحضره بين يديه تلك عنه وأبي أكله وتناول من بسيسته التي جعلها حبالا للاصطياد، فحاوله اللص على الأكل وأقسم عليه، فقال له: يا ولدي إنا لا نأكل طعامكم! فتأسف اللص على عدم أكله ورأى أنه ربما يناله مكر من تجنب هذا الولي، على زعمه، لطعامه. فلما أن أصبح الصباح أرسل إليه أن يعطيه الفرس الفلانية أو بغلة أو نحوها مما كثر ثمنه، فتعجب اللص من ذلك، وقيل لي إما أن اتى هو إليه أو قال لأحد زبانيته: يا عجبا من سيدي فلان لقمة وطرف لحم يابى يأكلهما وفرس أو بغل أو بعير حلال له يطلبه ! فانظر إلى هذه الفضيحة التي فضحه الله بها في الدنيا وأنطق بها لسان الظالم واعمى بصيرة هذا الخبيث عن مراعاتها والاهتداء إلى الاتعاظ بقوارعها، إلا أن من يضلل الله فما له من هاد "[3].

" ومن أوصاف هذا الرجل ومن كان على شاكلته، الدعوى التي هي بلية على صاحبها، فضل في نفسه وأضل، ونصب نفسه للشيخوخة وتصدى لإعطاء العهد هو ومن كان في زيه

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص120-121.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص124.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 126-127.

وحاله ممن سنذكر، فأكثروا التلامذة وصارت أجنادا، ويكابرون بها عنادا، ويزعمون أنهم لهم التصرف والإعطاء والمنع، وأن الكائنات تجري على أيديهم ومنوطة بإرادتهم، حتى لقد حكي لي عن هذا الرجل المذكور أنه نزل بقسنطينة بداره او غيرها فاستشفع في شيء أو طلبه فلم يشفع أو لم يعط، فقال لمن طلبه أو استشفع عنده: باريك شوكتي ! باريك شوكتي! قال له ذلك الرجل: الأشياء من الله، قال له مجيبا: إيه إيه ؟ هكذا كان يقول رجب بن حسين "[1].

وكان رجب المذكور – رحمه الله – مبغضا له ومنكرا عليه، وكان يقول لهم إنه ربط ثوره بثوري على عادة كلماتهم الفاسدة، فجرى"، من أمر الله أن مات رجب المذكور على فراش العافية مريضا، سامحه الله وغفر له، فوجد هذا البدعي الطريق إلى إظهار بدعته وجعله سلمة يرتقي به إلى جريان الكائنات على يده حتى أنكر على الرجل المذكور قوله الأشياء من الله، وانتقصه بها ورأى أنها ليست مغنية عمن قالها قبله، وهو رجب المذكور، والحالة أنه لم يحل برجب إلا ما حل به هو ونزل من الموت المحتوم، فلم يبق بعد رجب إلا قليل حتى نزل حفرته، وقضى نحبه. فانظر إلى هذه الكلمة الشنيعة الصادرة منه التي تقتضي كفره وخروجه عن دائرة الإسلام وبمقتضاها ينتاب فإن تاب وإلا قتل. نسأل الله العافية مما ابتلاه، وأن يحمينا مما صادقه ودهاءه. وهذا زاد به الحال على ادعاء التصرف إلى إنكار أن يكون التأثير لله تعالى والأشياء منه، فقد ارتد وكفر، وما شعر أن ذمة نفسية خفر. فنعوذ بالله من الخذلان، ومتابعة هوى النفس والشيطان"[2].

" وأما أحوال اللصوص فلهم فيه اعتقاد كبير وشأن عظيم، يأتون إليه بالهدايا إبلا وخيلا وشاة وبقرة وغيرها، بل يحكي عنه أنه يقول لزائريه: من جاء بلا شيء يمشي بلا شيء. كل ذلك تهيجا لهم على الإعطاء والإهداء له وحرصا منه على جمع الدنيا، حتى جمع منها شيئا كثيرا، ماشية وغيرها، وصار أهل بلد قسنطينة يتجمعون له نساء ورجالا مع فقير من فقرائه ويقصدونه ركبة، ويسمونه الركب. وكلٌ مُهْدِيه على قدره، من الرغيف إلى الكساء إلى الدراهم إلى الأنعام، حتى بلغني أن من لم يجد من ضعفاء المسلمين ما يهدي له يتسول وما يتسول به يهديه له. ولقد حكى لي أن امرأة أو رجلا بادي الإقلال اجتاز على رؤوس الخرشف أو عسالجه فأهداها إليه،

1منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص130

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص130-131.

وقال له يا سيدي لم أجد ما أتيك به إلا هذا. وأما حال متلصصة الأعراب وغيرها فكل على قدره من الأعلى إلى الأدنى، حتى إن منهم من يأتيه بنحو الحثية من التمر والقفة. فانظر إلى فعل هذا الرجل وبعده من سيرة أهل الطريقة ومنابذته لما أحكمته السنة "[1].

"ويقال إنه جالس مع بعض الخاصة، منهم العم قاسم الفكون أخو الجد وهو المذكور فيما قبل، وحول الجليس هران فقال للجمع المذكور: هذا جبريل يعني لأحدهما، وهذا ميكائيل يعني الأخر، فقال له واحد من الجمع: وأنت يا سيدي؟ فقال: أنا الباري، فقال له الرجل المذكور: إن كان أنت باري الأقلام !، فقال له الجليس: أكذ! بقبيح الذكر، سابا له: من أين سرسبها، يعني كيف تؤول هذه المقالة وصرفها عن غير وجهها، وكأنه ذكر في جبريل أنه من الجبر ونحوه. "[2].

" ومفسدة هذين الرجلين أكثر من نيتهما لاستعمالهما الحضرة ومخالطة النسوان وتصديهما لإعطاء العهد وقبول ما يأتيهم من أيدي اللصوص وتناول مال الظلمة ومستغرقي الذمم. وأعظمها عندي مفسدة مخالطة النساء، واجتماعهم على الحضرة المعروفة فيما بينهم، وزئيرهم بها زئير الأسود، وقطعهم بها كلمات الكلمة العليا، وغير ذلك من ترهاتهم ومناقصهم التي جاء الشرع بذمها والتنفير منها، وكثيرا ما يتعاطون أخذ أموال المسلمين المسمى عندهم (بالوعدة) ولا يبالون من أي وجه أخذوه ولا من أي بلد تناولوه"[3].

"ولقد حكي لي أنه يزعم في قصائده أنه عرج به إلى السماء وكشف له عن أحوال الملكوت"[4]. "ولله در سيدي محمد بن الحاج في مدخله حيث قال: العجب ممن يدعي المشيخة منهم والهداية الطريق القوم، كيف يعطي الإجازات للفقراء من تحت يده والمشيخة، ولو سألته عن فرائض الوضوء أو شتيه أو فضائله وكذلك في الغسل أو في التيمم أو في الصلاة، جهل ذلك غالبا. وقد قال بعض العلماء: إذا صلي المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون وأتي بالصلاة فلا تصح صلاته وإن أتى بذلك، وكذلك لو سألته عن مفسدة الصلاة لماَ علِمها، وكذلك

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص134.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص155.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص160.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص165.

لو سألتَه عن السهو إذا طرأ عليه في صلاته ما حكمه ما علمه،... بغيرهما؟ قال: وقد تقدم أن من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى. قال: فإذا كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يصحبه؟ فكيف بمن يجيزه ؟ ثم قال: والعجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادئ أمر دينهم كما تقدم، فكيف بالانتماء إلى المشيخة؟"[1].

" فكان يأخذ الوعدة ويهوم على الأسواق ويجعل له من يحمل معه ما يتقاضاه فلا تسمع إلا ذكره، قسما به أو نداء بجاهه، ويأتيه أهل البوادي بالوعائد، كل على قدره من الخروف إلى الكبش ومن الدراهم إلى الريال ومن القمح إلى السمن، وأما أهل أسواق البلد فلا تسأل ! قد شاركوه فيما أفادوه، وترى كل واحد يجعل له فيما يبيعه نصيبا، ويأتيه نساء المسلمين فواحدة يكتب لها، وواحدة يدعو لها، وجعل تلامذة نساء ورجالا، ويحمله الناس إلى ديارهم فيعطونه ما أراد، ويتبركون بآثاره، وهو من الدعوى على صفة من ذكر

إلا أنه يخفيها فيما بين جهلة الناس وغوغائهم، وأما مع أهل الطلب والعلم فلا يذكرها فتراه أروغ من ثعلب"[2]. "وقد ذكر صاحب كتاب الرد عليهم أنه جاء في بعض الأخبار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أنه قال: سيأتي أقوام يستبدعون البدائع ويحلقون رؤوسهم ويسمون أنفسهم مرابطين يلبسون الدفافيس، ويجعلون في أعناقهم القناديس، ويلبسون التلاليس، ويأكلون أموال الناس بالبدائع، ويجعلون لهم البنادير، ويشطحون ويرقصون، فإذا رأيتهم على تلك الحالة لا تخالطهم لقول الله عز وجل: "ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ"[3]، وقوم يستبدعون العبادات والتسابيح، ويجعلون شيخهم اعلى الأشياخ ويجعلون صديقهم في شيخهم ويتركون فيما، فإذا التقوا كل واحد يقول: شيخي أفضل من شيخك"[4].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص171.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص174-175.

3 -سورة الأعراف الآية 51.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص192.

"ويظنون أنه لم يمت وأنه غيب إلى وقته المعلوم فيخرج، إلى غير ذلك من خرافات لا يليق سماعها. وقد مات في الحرب الواقع بينه وبين القائم الآخر الذي يقال له يحيى السوسي أو غيره [1]".

ويظهر هنا انهم زعموا ان صاحبهم غيب لأجل معلوم وكأنهم يقتبسون ذلك من قصة المسيح عيسى عليه السلام ،وانه لم يمت، ولكنه في حقيقة الواقع مات وفات.

12-عجائبية الشخصيات:

تعد الشخصية أحد مكونات النص السردي حيث لا يمكن تصور نص سردي دون شخصيات، فلها دور في تحريك الأحداث وتطوير الأفعال، أي هي التي تقوم بالأحداث وهذه الأخيرة تحدث في زمن معين ومكان محدد، والشخصية من أهم المحاور الفنية والركيزة الأساسية للتراجم والسير، فهذه الشخصيات لا يمكن الاستغناء عنها كما لا يمكن عزلها عن باقي العناصر الأخرى، فنجد كاتب السير يسند إلى الشخصيات أدوار وأفعال تقوم بها من بداية السرد إلى نهايته.

فالشخصية احتلت " مكانا بارزا أصبح لها وجودها المستقل عن الحدث، بل أصبحت الأحداث نفسها مبنية أساسا لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة"[2]. إن مصطلح الشخصية في السرد العجائبي هي: " القطب الذي منه ينطلق الحدث فوق الطبيعي، وعليه يقع، أي أنها إحدى المكونات الأساسية في تحديد الفانتاستيك من خلال المميزات الخلافية، والمتجلية في الأوصاف والسلوك النسبي والمادي والأفعال المتجسدة انطلاقا من الحركات والأقوال [3]"، ومنه فالشخصية بدورها هي المكون الأساسي الذي يرتكز عليها أي عمل ترجمي.

كما نجد سعيد يقطين في كتابه (قال الراوي) يعرف الشخصية العجائبية على أنها: " كل الشخصيات التي تلعب دورا في مجرى الحكي، والمفارقة لما هو موجود في التجربة. وفي هذا

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص225.

2 بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص208.

3 العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات ركن الدين الوهراني، فاطمة الزهراء عطية، ص45. نقلا عن: شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف: الجزائر، دار الأمان، المغرب، 2009، ص197.

النطاق نبين كون عجائبيتها تكمن في تكوينها الذاتي وطريقة تشكيلها المخالفة لما هو مألوف "[1]، فالشخصية العجائبية هي مزج بين الواقع واللاواقع.

أبو زكرياء يحيى بن محمد "، وله فصاحة قلم دون لسان، وبالجملة له حظ وافر عمن سواه في المعرفة والاطلاع لم تكن لمن بعده وإن كان لم يصل بها من سبق، ومع ذلك كان يأخذ الأجر على فتواه تارة بالاشتراط وتارة مكارمة، وكان كثير المداعبة حتى للصبيَان، يحب التهاتر إلا أنه كان في غالب أحواله منصفا"[2]. فمن العجيب أن ترى مثل هذه الشخصية التي تجمع بين الجد والهزل؛ فهو تارة يلعب مع الصبيان وهذا ليس بالشيء الهين، وتجده تارة مع الرعية ذو حزم يحرص على تمام العدل.

سيدي يحيى بن باديس " كان – رحمه الله – حييا ذا خلق حسن كثير المداعبة والهشاشة، كثير التواضع للصغير والكبير والرفيع والحقير، سالم الصدر من نفاق أهل عصره، كثير القراءة لدلائل الخيرات ذا تلاوة لكتاب الله على ما قبل لي. وكان قبل نائبا عن قضاة المعجم في البلد المذكور وخطيب جامع قصبتها، على حسب طريقة أمر القضاة، لا يأتيه شاك إلا ورحب به وأخذ بخاطره، جميل المواصلة للأقارب وإكرام الأجانب"[3].

" أبو العباس أحمد الجزيري، كان – رحمه الله – مدرسة من أهل الفتوى والدخول في الشورى، وتولى النيابة في القضاء عن قضاة العجم. وكان يصلي بقواد المدينة في رحيلهم عن البلد بمحلتهم، وكان لا تشاء تراه مدرسة إلا رأيته، ولا فقيرا من أهل الفقر على طريقة البلد إلا وجدته، وكان يحمل الناس معه إلى زيارة قبور الأولياء خارج البلدة، حسن الخلق كثير المواصلة، وكان في ابتداء أمره له نباهة وصدق"[4].

" فكان – رحمه الله – ممن تولى الخطة على معرفة بقواعد البينة على المدعي واليمين على من أنكر، ليس له دراية إلا ما تلقاه من كثرة مرور النوازل عليه حين كان من جملة الموثقين،

1 قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، سعيد يقطين، ط 1، المركز الثقافي العربي، لبنان المغرب، 1997، ص99.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص64.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص68–69.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص69.

حتى إنه – رحمه الله – لا يعرف جل مملحات صلاته وعبادته فضلا عن غيرها، إلا أنه – رحمه الله – كان ذا خلق جميل، معاشرة كثير الصمت نزيه اللسان عن القيل والقال سواء في ذلك صديقه وعدوه، وإن كان محلها بداخل صدره مختلف، فكان يترصد لعدوه المراصد، وكان مع ذلك متحمل الأذى لا يجيب سفيها إلا بلين ورفق ولا يغضب ولا يضجر. وممن لا يعطي اليد فيمن يحبه غيبة إلا أنه إذا لم يقدر عن الجواب في الذب[1]عنه سكت مع تصعد زفير من صدره يسمع له كراهة لسماع ما لا يحب فيمن يحبه، وتسبب ابو محمد في طريقة الفتوى بإخراج أمرها[2]، وكان مصححا لا مبتكرا، زمان أبي العباس"[3].

"وكان في مجلس در سه متكلا على ولديه فيما يقال ويذكر عنه، وكذا في غالب الفرائض، ويتكل عليهما في غالب الوثائق، لأن ثلاثتهم معهم معرفة مبادئ الفرائض قسمة وبعض مسائل وصايا الصحيح ومناسخات دون ما عدا ذلك من ابوابها ومشكلاتها، لانقراض العلم في كل الأقطار، فيما أعلمه اللهم إلا ما شذ فلا أدخل تحت عهدته"[4].

" فصرت أحضر معه مجلس الدرس المذكور وأجلس في أخريات القوم. وكان شيخنا التواتي لا يلتفت إلي ولا يعرج نحوي بشيء، فالقي الله في قلبي هيبته وإجلاله فتراه في مجلسه كالأسد وأصحابه الأشبال، وهو بينهم له زئير في علم النحو، فأسترق النظر إليه من خلال الحلقة فإذا وقعت عيني عليه عبس وأراني عين الانقباض وأعرض عني فيزداد ما في قلبي من الإجلال والحياء منه، ومع هذا الفعل منه لا يصدني عن حضور مجلسه ولا يبعدني ما ألقاه منه من عظيم الإبعاد والإقصاء عن الحلول في حلقة درسه"[5].

عبد الله بوكلب " فاشتهر أمره بين الناس ويقصده النساء أكثر من الرجال، ويأوي إلى بيت من أحب، ويرى صاحب البيت أن إتيانه من النعم الضافية عليه، فما زال على ذلك مدة من السنين. وكل من يقف عليه، من بايع أو فكاه أو قاب أو تمار أو غيرهم، يضع يده على ما

---

1 في الأصل (الدب).

2 تعبير غامض لا ندري الى شيئ يشير به، وهو قوله (بإخراج امرها....)

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص79.

4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص82.

5 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص107.

يشتهي ويرفعه له من غير ابتياع ولا هبة ولا عطية، ويأوي به إلى ما أراد من المساكن ويطبخه ويأكله، وهو عليه كالفهد أو الأسد، ومن أراد من أرباب السعي معارضته أو دفعه يضربه ضربا عنيفا، وربما أدى إلى جراحاته أو هشم عظامه، ولا يبالي عباد الله بما يضر بهم وفي أي مكان يضربهم"[1].

المبحث الثاني؛ مرجعية العجائبيّة:

بعد أنْ تبيّنَ أنّ العجائبيّة تمظهرتْ في "المدونة " من خلال عدة تمظهرات، سنحاول معرفة الرابط الذي يجمع هذه التمظهرات، ويتسبّبُ في وجودها، وهو ما اصطُلِح عليه في هذا البحث بمصطلح "المرجعية ".

فمن خلال المدونة وما لمسناه من المبحث السابق نحاول أن نضع مسحا للكلمات والأفكار المتعلّقة بالعجائبيّة فنجد ما يأتي: المسجد – الزاوية – الضريح – سيدي فلان – الرسول – الولي – الجن– الملائكة –جبريل سفائن النجاة –أمواج البدع –التصوف الكرامات – أعداء الله – احلوا الرشا– سيدنا محمد – أصحاب الشعوذة والدجل– العارف – العكوف – حج –استجلاب –الشهادة– الفرائض–الشيطنة–زاجر – عدو الله – المسلمين – المؤمنين– الدنيا – الأخرة – الأرض – السماء– اللعن –جهنم– تزكية النفس –رذائل – خرافة – أسلاف – العبد الفقير إلى الله– المدينة الشريفة – النبي الشريف– إقامة الصلاة – النسك – العبادة – الوضوء – شهادة الزور–الخشوع – النعيم..... وغيرها من المصطلحات التي تندرج ضمن نفس السياق، كما نجد انه يستشهد بكثير من الآيات القرآنية.

يُلاحَظُ أنّ كلّ هذه الكلمات والأفكار المتعلّقة بعجائبيّات "المدونة " على اختلافها تجتمع في كونها نتاج الفكر الدينيّ، وهو ما يوصلُ إلى أن نقول بأنّ التيمة الغالبة والمتحكّمة في إنتاج عجائبيّة المدونة على اختلافها وتمظهراتها هي مرجعية المركزيّة الدينيّة بصفة عامة والدين الإسلامي بصفة خاصة.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص176.

مصطلح "المركزيّة الدينيّة" مُركّب إضافيّ يتكوّن من جزئين؛ المركزيّة والدّين، الجزء الأوّل عادة ما يكون ثابتا في حين يُستبدل الجزء الثاني لأجل استحداث مصطلحات جديدة ذات قرابة، مثل: المركزية الغربيّة، والمركزية الإسلاميّة، مركزيّة السلطة المسيحيّة، المركزية الذكوريّة.

ويُقصد بالمركزيّة نوع من التقوقُع "حول الذات بوصفها المرجعيّة الأساسيّة لتحديد ماهية كلّ شيء وقيمته، وإحالة الآخر إلى مكوّن هامشيّ، لا ينطوي على قيمة بذاته، إلّا إذا اندرج في سياق المنظور الذي يتصل بتصوّرات الذات المتمركزة حول نفسها"[1].

هذا عن مصطلح المركزيّة غير المضاف، أمّا مصطلح الدِين فهو مصطلح هلاميّ يصعب أو يكاد يستحيل تعريفه تعريفا موضوعيّا موحّدا، وقدْ أقرّ بهذه الحقيقة الأنثروبولوجيّ البريطانيّ المعروف، **جيمس فريز** حين قال:" إنّ صياغة تعريف واحد من شأنه إرضاء كلّ الآراء المتصارعة حول الدين، هو أمر غير ممكن التحقيق. من هنا كلّ ما يستطيعه الباحث هو أن يُحدّد بدقّة ما يعنِيه بكلمة الدِين، ثمّ يعمل على استخدام هذه الكلمة عبر مؤلفه بالمعنى الذي حدّده لها منذ البداية"[2].

عليه فإنَّ المقصود بالدِين هو الاعتقاد والإيمان بوجود قوى علويّة تملك قوة مطلقة تتيح لها التحكم بالإنسان والطبيعة، وإجراء ما تريده فيها، وما على الإنسان إلّا الانصياع إليها والتصديق بقدرتها. وانطلاقا من تعريف المركزيّة وتعريف الدين، يمكن القول: إنّ "المركزيّة الدينيّة نوع من التفكير التقوقعيّ الذي يَحْصُرُ كلّ آليّاته الإدراكيّة والتفسيريّة والتأويليّة وغيرها من الآليّات في الدِين؛ فيصير الدّين بكائناته العليَا المتحكّمة في العالم، مصدرًا لكلّ تفكير، وتصبِح كلّ الأشياء في هذا العالم مُفسَّرَةً من خلال مقولات الدِين ورُؤاه"[3].

1 المركزيّة الغربيّة إشكاليّة التكوّن والتمركز حول الذات،عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان– بيروت، دط،2003، ص15.

2 يُنظر، فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين, سوريّة– دمشق، ط4، 2002، ص25. نقلا عن: James Fraizer. The Golden Bough. Macmillan. London. 1997. Pp57–58

3 تيمَةُ العجَائبيَّةِ وتَمَظْهُرَاتُهَا فِي رِحْلَةِ تُحْفَةِ الأَلْبَابِ ونُخْبَةِ الإِعْجَابِ ، لِأَبِي حَامِدٍ الغَرْنَاطِيّ مُقَارَبَةٌ مَوْضُوعَاتِيَّةٌ ، نذير بالحاج رسالة ماستر، جامعة ميلة، 2018–2019م، ص122.

وهذا ما لمسناه من خلال شخصيات ابن الفكون ومجتمعه المعتَقِد بالدين الإسلامي، واتباعه للبدع والغيبيات والتسليم لها، فالدين الإسلامي هنا هو المسيطر الأساسي على أفكار المجتمع الفكوني. إذن فمصطلح "المركزيّة الإسلاميّة" في حقيقته المنطقيّة المثاليّة مصطلح إيجابيٌّ، دعا إليه الإسلام، قال رسول الله ﷺ:" تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لنْ تَضِلُّوا ما تمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابُ اللهِ وسُنَّةُ نَبِيِّهِ "[1]. فالتمركزُ حول تعاليم الإسلام الحقّة، واعتماد تشريعاته مصدرا لكلّ قرار، يُعدُّ قمّة الوعي الإنسانيّ.

وهو لا يعني الانغلاق التامّ والتقوقع وإقصاء الآخر؛ ما دام التعايش مع الغير المقيّدُ بشروطِ أحدِ تعاليم الإسلام، ولكننا نجد ان هذا المجتمع القسنطيني استعمله لأغراض نفعية فيها ما فيها من دجل وادعاء، فالإسرائيليّات التي انتشرت بين أوساط المسلمين، وصارت مع مرور الوقت جزءًا من الثقافة الدينيّة لطبقة العامة على وجه التحديد، فتمركزت أفكار المسلمين حول الإسلام وحول هذه الإسرائيليّات كذلك.

دلائل سيطرة المركزية الدينيّة على عجائبيّات المدونة:

يقول سعيد يقطين إن كتبَ السيَر الشعبيّة، التي اتّسمت هي الأخرى بسِمة العجائبيّة، هذه العجائبيّة التي ارتبطت في كثير من الأحيان بالنصوص الدينيّة، إذْ يذكُر سعيد يقطين أنّ كُلّا من "سيرة سيف بن ذي يزن"، و"سيرة عنترة"، و"سيرة بني هلال"، و"سيرة ذات الهمّة"... وغيرها، – كلُّها – انبثقت أحداثها من أمورٍ لها علاقة بالدين"[2].

وسعيد يقطين فعل ذلك مع معظم السير الشعبيّة، أين ردّ أحداثها إلى تيمة أساسيّة لوحِظ أنّ لها علاقة بالدِّين، وفي غضون ذلك يقول:" يمكن أن نذهب إلى اعتبار أنّ كلّ الأدبيّات العربيّة الإسلامية المتصلة بالفتن والملاحم تعود في أصلها، بصورة أو بأخرى، إلى القرآن الكريم، وإلى الحديث النبوي"[3].

1 الموطّأ، مالك بن أنس، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، الج2, دار إحياء التراث العربي، لبنان– بيروت، دط, 1958, ص899.

2قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين ، ص39–48.

3 قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية سعيد يقطين، ، ص53.

استهلّ ابن الفكون "منشور الهداية "بطابع أعلن فيه للقارئ تبنِّيه للثوابت الدينيّة وارتكازه عليها ارتكازا تامّا فإن ما لمسناه من خلال تمظهرات العجائبية في كل من الأمكنة، كالزوايا والمساجد أو التي برزت من خلال عجائبيات الأفعال السحرية أو أفعال الجن والملائكة او من عجائبيات الأحلام والتي تتحدث عل زيارات الرسول أو حضور رجال صالحين مثل الخضر، كذلك نجد أن عجائبيات الدجل والادعاء معظم محاورها تدور ضمن الدائرة الدينية والمعتقدات السائدة آنذاك فلا نكاد نلمس عجائبية من تلك التي حددنا مواطنها تخلو من المركزية الدينية وسنوضح ذلك من خلال منشور الهداية، فقد بدأ الفكون تراجم الفصل الأول بالكلام عن الشيخ عمر الوزان الذي طلب منه العثمانيون تقلد منصب القضاء إلا أنه استعفى من ذلك في رسالة حدد فيها أسباب استعفائه، وقد وصفه المؤلف بأنه العارف " بالله الرباني ياقوتة العصر والأوان ". وقد أشار أيضا إلى سبب تحول الوزان من العكوف على الطريقة الصوفية وكتب الوعظ إلى الاشتغال بالحديث ذلك أن الوزان رأى رجلا في المنام بالمسجد "فقال له يا عمر عليك بالأحاديث النبوية تنورك ظاهرا وباطنا فلبى الوزان هذا النداء حيث أنه أصبح يحفظ صحيح البخاري "[1] كما ترجم الفكون في هذا الفصل لعدد من أفراد، عائلته كجد والده أبي زكريا يحي بن محمد الفكون، كان رجلا فقيها يعتني بالمدونة تصدى للإفتاء في زمانها، كما ترجم لعمه قاسم الفكون الذي يتولى خطة القضاء بعد استعفاء الوزان، وذكر جده عبد الكريم ووالده محمد[2].

أما الفصل الثاني من الكتاب فقد عقده كما ذكرنا للحديث عن من تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم فذكر منهم أبا زكرياء بن محمد بن محجوبة، الذي تربطه بالفكون صلة مصاهرة بعد أن تزوج من عمة والده، ورغم ذلك فلم تشفع هذه المصاهرة بأن جعله من الذين ادعوا ما ليس لهم بأن تقلد رئاسة الفتوى دون علم، وهو ما يدل على جرأة المؤلف في الحق وهذا شيء عجيب ، وقد قال فيه لا يخرج إلى الشاذ في فتواه إلا لغرض دنيوي فيما رآه أو سمعه ويطرز فتاواه بحكايات، كما كان يأخذ الأجر على فتواه تارة بالاشتراط وتارة مكارمة[3].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص36.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص53.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 63-64.

وذكر عن هذا الأخير أنه كان مخلطا للولاة ولهم معه مشورة في أحوال الرعايا واستجلاب فوائدهم وهو الذي أفتى بعدم قتل اليهودي المختاري الذي نال من جناب النبي – صلى الله عليه وسلم – وعارضه الفكون الجد في فتواه فحقق النصر عليه وأعدم المختاري[1]، ولم يسلم أبي عبد الله محمد بن قاسم الشريف من نقد الفكون فبعد أن بين حسناته ذكر أنه عاد آخر الأمر إلى تقليد بن محجوبة ففي كل ما يفتي به صحيحا أو خطأ وربما نسي ما كان عنده من المسائل فكان إذا ذكر في مسألة فكأنما ترفع من قعر بئر، فيقول نعم كذلك هي.

كما ذكر المؤلف أحد طلبة العلم الذين جاؤوا من المغرب الأقصى لطلب العلم في قسنطينة وهو محمد السوسي الفاسي الذي تتلمذ على يد الفكون لكن بعد مدة انتهى إلى بعض المشتبهين بزي الفقهاء من أهل العصر فاجتمع عليه حاشيته. وأبدى للناس أنه صاحب علوم، ولو انقرضت كل العلوم لأحياها وفرح بما لديه. وقال الشيخ أنه حضر إحدى مجالسه بطلبه هو – السوسي – قال أعظم ما سمعت منه اختلف في نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وموسى أيهما أفضل؟ والمختار أن نبينا أفضل!

واشتهر عنه أنه لا يجوز وصف سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالسيادة في الصلاة وقد أودعنا بعضهما تأليفنا المسمى " نظم الدرر في شرح مختصر سيدي عبد الرحمن الأخضري " وقد هجره الشيخ حن عاد إلى رشده ووضع نظما مادحا له، فأجابه الشيخ بالمثل وزنا وحرفا، وضمنهما تأليفه المسمى "محدد السنام في نحو إخوان الدخان"[2]. وهنا نرى ان محور الكلام تمركز حول مجالس الدين والذكر وعلوم الفقه التي يتلقونها.

وفي ترجمة لحميدة بن حسن العربي ذكر محاسنه وقال انه يخدم الولاة ويعظمهم ويمتهن نفسه في موالاتهم ويعطيهم الرشا وربما يقال فيما اشتهر عنه أنه يتوسط لهم في ذلك من أهل البلد والرعايا وينال هو من ذلك حظا بل قال عنه أنه لم يكن يحسن الكتابة يعرض كتاباته على أحبابه ليصلحوا له فساد الرسم، رغم أنه تولى خطة الفتوى زمن أبي زكريا بن محجوبة. ولما ترجم لعبد الله بن نعمون قال بأنه كان من شهود دار القضاء في صغره وتولى خطة الفرائض ومفاصلات

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص66.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 71–72.

التركات والإشراف على صاحب المواريث بعد موت صهره أبي محمد عبد اللطيف المسبح وترقى لمنصب الفتيا، كان بليدا لا يحسن ما قرأ ولا يتقنه يوقع بين الناس في خصوماتهم ويقدم لكليهما النصح إلى أن يقضي إربة منهما إما برشوة كاملة من أي أنواعها، عينا أو ملبسا أو رباعا أو غيره وإما بقضاء وطره من بلوغ أمينة وظفر بعدو وغيره ذلك مما يتفق له ويساعده الغدر حتى يكل الخصمان ويعي الفريقان فيردهما بعد ذلك إلى شيء يصطلحان عليه[1].

هذه عينات من التراجم التي أوردها الفكون في الفصل الثاني من كتابه، تبين أن الوظائف الرسمية من إفتاء وقضاء وغيره قد تقلدها في أحيان كثيرة أناس لا يستحقوها أهلا لها عن طريق التملق وبذل الرشي والوقيعة بين الناس وهي إحدى المشاهد التي شكلت فساد المجتمع وذهاب أهل العلم والصلاح وهو ما تأسف له الفكون وعبر عنه في مناسبات كثيرة من مؤلفاته. ولعل المرء يتعجب من كلامه الذي يصل حد التجريح فيمن تكلم عنهم في هذا الفصل ويتساءل عن الهدف ؟ لكن الشيخ لا يترك القارئ حائرا إنما يعطيه الجواب من أن الهدف من هذا التأليف هو النصح العام وأنه كان يطبق قوله – صلى الله عليه وسلم – "الدين النصيحة"[2].

أما الفصل الثالث فقد عقده للكلام عن من ادعى الولاية من الدجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين وأشار المؤلف أنه ربما ذكر من لم تكن هذه حاله، لقصد التعريف به فقط، وقد ابتدأ هذا الفصل بذكر سيرة رجل يسمى قاسم بن أم هانئ إذ يقول " ولنرجع إلى التعريف بالرجل المذكور وبدأنا به لعظم مفسدته بين الخلق وشهرة بدعته وقوها، فاعلم أن هذا الرجل كان في ابتداء أمره ذا سمت حسن بأن جانب جبايا زواياهم إذ لأسلافه رعايا يؤدون لهم الأعشار والزكوات، فكان ذلك الرجل مباعدا لأمورهم مشغول عنهم بجعله لنفسه خلوة في أماكن يعدها ويواضب على الصلاة والصوم ويري تناول طعام الشعير ويتقشف في لبسه بلبس الغرارة والمرقعة حق أمال القلوب إليه وأصغى الآذان نحوه وأشارت بالألف إليه الأصابع وسبب ذلك أن رعاياهم امتدت إليها اللصوص، فلم يبقى بينهم جرم وصاروا يأخذوهم حيث ما وجدوهم، إلا أن يجعلوا غرامه عليهم للصوص وذلك بعد موت جده حسن المذكور وخصوصا لما لولده أبي عبد

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص75.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص95.

الله محمد من القيام وشق العصا في جبال قرب نقاوس ما هو مشهور، وخرجت إليه عساكر قواد قسنطينة وافتضح أمره وهرب إلى بعض نواحيها فسقطوا في أعين الخاص والعام وصارت الأعين ترقيهم بما فعل والديهم، فعزم قاسم المذكور أن يجني ما اندرس من طريق أسلافه بأن اتخذ ذلك الفعل المذكور شعارا وبقي عليه منه وكثرت مخالطته لبوادي الرعايا والرعايا المذكورون يشنعون أمره ويظهرون للصوص خبره، ويذكرون لهم جُملا من كرامات له ليأمنوا في أموالهم وأهليهم مع إعانة لهم بما أظهر من نفسه التنسك والمثابرة على الطريق الأعدل ولله در من قال:

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ ** فَلَمَّا قَضَى الْأَمْرَ لاَ صَلَّى وَلاَ صَامَ.

وقد عظم نفوذ قاسم هذا وجعل له تلامذة أسماهم الفقراء عل طريق أهل البدع واتخذ الحضرة وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، كما يأكلون ومنها يتمولون وعليها في قضاء أوطارهم يعولون ويجتمعون لذكر الله تعالى، فيغيرون اسمه، ويرقصون وربما يتضاربون ومن عجيب أنك تراهم ككلاب نابحة، ولعابهم كمياه طافحة وأنفاسهم كنيران نافحة، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح"[1] استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون"[2].

ومن قبائحه المأثورة وطريقته المشهورة أنه إذا سمع أن عند أحد رعاياه فرسٌ تعجبه أو بغل أو نحو ذلك ينزل عليه ويقول له ذلك الشيء هو لي، فإياك وبيعه أو إخراجه لغيري، فلا يقدر على بيعه، أو هبنه ولو كان في غاية الضرورة حتى يأتيه فيأخذه مجانا وإما بثمن بخص، وإما يفرقون ثمنه عليهم وإذا شح ربه، إما أن يتوعده بنكبة تصيبه، فإن وافق القدر تحدى، وإن لم توافق أغرى عليه اللصوص بمعاقبته أو أخذ ماله ويجعل ذلك كرامة له[3].

وقد عمل المؤلف على تعرية بدع هؤلاء الأدعياء وتبيان كذبهم وزيف دعاويهم ليس بطريق التجريح فقط إنما بالمناقشة العلمية التي تعتمد على طرح الأدلة، فقد استشهد المؤلف بقصة الابن المبارك مع أمراء زمانه من العباسيين، ومقالات محي الدين بن عربي المتصوف وأبيات لابن

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 118-119.

2 المجادلة، الآية 19.

3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 120-121.

البنا السرقسطي وعبد الرحمن الأخضري صاحب القدسية وغيرهم. هذا إضافة على استشهاده بآيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وفي التعريف بمحمد الحاج الصحراوي يذكر أنه اتخذ الخلوة في ابتداء أمره واتخذوا زوايا ورعايا تزكي عليه ويأخذ منها الجبايا والأعشار، واعتقد فيه أهل القطر الغربي وناحية بسكرة ونواحيها وأظهر ما أظهره غيره من الإعطاء والمنع والعزل والولاية، واتخذ الطلبة في بلده للاصطياد بكم على عادة أمثاله شهرة وطلبا للجباية وإعانة لهم على الدعوى التي هي عين البلوى، إلى أن قام له ابن أم هانئ فكان الأتباع فريقين والدجاجلة قسمين كل ينهج رئيسه ويفضل قدر شيخه وجليسه[1].

وقد أورد المؤلف موقف بعض المشايخ منهم الشيخ ابو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسان من هؤلاء الدجاجلة فقال: نقل الزروق عن بعض الفضلاء الفاسيين أنه إذا بالغ في ذلك هدم ديارهم وفرق جموعهم ويسامون سوء العذاب حتى يقلعوا عن ذلك، ووافقه على ذلك جماعة من شيوخ وقته لبلاده حين جاؤوا مستفتين في أواخر سنة 873 هـ، ورأوا أنهم لا يمكنون من الكلام في مسائلهم ولا يفصل فيها، لغلبة الجهل والفساد على الزمان، وإن كان الشيخ أبو مهدي عيسى بن أحمد الماوسي أفت بأن أمورهم ينظر فيها، فيصح ما كان صحيحا ويبطل ما كان باطلا[2].

ويضيف المؤلف معلقا قائلا: وأما طائفة زمننا وجماعة بدع قطرنا فيما أعلمه فقد تمخضت أمورهم في خالص البدع المحرمة وانقضوا على السنة بمعاول أهوائهم الفاسدة، لا تراهم خائضين إلا في بحر المناهي والمنكرات والتكالب على الدنيا والتفاخر بالشهوات، والتسبب في كثرة أتباع السوء، لاقتناص رتب الرئاسات، فلا يختلف اثنان في طردهم وردعهم ويجلبون عليهم بخيلهم ورجلهم في الله والله حق يعلنوا التوبة: "إن ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم"[3]. وقوله تعالى: "وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات "[4].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص142.

2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص144.

3 الرعد الآية 6.

4 الشورى الآية 25.

وفي التعريف بسليمان المجدوب، ومحمد العلالي يقول إنهما يستعملان الحضرة ومخالطة النسوان وتصديهما لإعطاء العهد وقبول ما يأتيهما من اللصوص، وتناول مال الظلمة وغيرها[1]. وأورد المؤلف فصلا لابن الحاج صاحب المدخل يستنكر فيه التساهل في إعطاء الإجازات للفقراء ولو سألته عن فرائض الوضوء وسننه أو فضائله وكذلك في الغسل أو التيمم أو الصلاة جهل ذلك غالبا[2].

كما انتقد الشيخ ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء إلى حد وقوع المحظور عندما عرف بعبد الله بو كلب وذكر تعلقه بامرأة والخلوة بها ليل نهار وبعض العامة يقولون أن الأولياء أعطوها له فانظر إلى هذا الخطر العظيم[3].

كما ترجم الفكون للشيخ طراد، وطراد هذا من عنابة أصله من اللصوص زعم أنه تاب وعَدَّه الفكون من الدجاجلة الذين استفاضت قبائحهم المذمومة، وحكى عنه أنه يأخذ المحصنات ولا يبالي بعدة ذوات العدد"[4]. وذكر كلاما لبعض العلماء الفاسيين لم يسمهم، كما نقل كلاما عن الإمام أبي حامد الغزالي في تبيان سوء متصوفة زمانه وأسقط كلامه على أهل زمانه[5]

أما الخاتمة فقد أفرد فيها فصلا للكلام عن عدد من الأصحاب والأحباب فبدأ بالتعريف بالشيخ بلغيث القشاش الذي أخذ عن علي الجديدي وذكر أنه قد راسله كما ذكر من علماء زواوة محمد بن علي وذكر أنه قد زاره كما ذكر أسماء عدد من الطلبة جاءوه من زواوة للتتلمذ على يديه قبل سنة 1031 هـ[6] كما ذكر حال المرض المزمن الذي لازمه والذي بسببه أنشأ الأبيات الي توسل بها بالنبي – صلى الله عليه وسلم – للشفاء وقد ابتدأه المرض نحو سنة 1025 هـ " وذكر الواقعة التي وقعت بين عسكر تونس وعسكر الجزائر، والتي انتهت بالصلح عام 1037.

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص160.
2 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص171
3 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 176-177.
4 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص161.
5 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 193 – 194.
6 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، ص 204

ولعل أشهر من ذكره المؤلف في هذا الفصل هو أحمد المقري فقد ذكر الفكون أن أحد طلبته وهو محمد بن باديس سأله عن إعراب آية في القرآن وهي لأتم نعمي ثم أخذ صورة الجواب معه إلى الحج وعرضه على أبي العباس المقري فأجاب عنه تصحيحا لا توضيحا غير ما طرزه من أوصاف هي إلى التهكم أقرب منها إلى التحقيق وقد وقع خلاف بين المؤلف والمقري[1].

والكتاب كذلك مليء بذكر أماكن الدروس وحلقات العلم بالحواضر الكبرى منها، مدينة الجزائر، عنابة، زواوة (بجاية)، الزيتونة بتونس)، والقرويين (فاس)، الأزهر (القاهرة)، فيقول وهو يترجم لبعض العلماء مثلا: "أبو العباس أحمد المقري... كان خطيبا بجامع القرويين بفاس، وأصله من تلمسان... ثم سافر للمشرق، واجتاز على تونس، وصحبه منها إمام جامع الزيتونة، وأقام بمصر ودرس بها بجامعة الأزهر"[2].

1 منشور الهداية، عبد الكريم الفكون ، صص 229.

2 قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري، الزروق أحمد، ترجمة وتحقيق: محمود بن الشريف، القاهرة: دار التراث العربي،1998، ص224.

الخاتمة

خاتمــة:

كانت قسنطينة حاضرة علمية بامتياز، وذلك بما ازدانت به من علماء أجِلَّة كان لهم دور في تفعيل الحياة الثقافية تدريسا وتأليفا، وهذا ما نستشفه من خلال دور بعض الأسر العلمية التي ظهرت بهذه المدينة، ومنها أسرة الفكون التي كانت أسرة علمية بامتياز، والتي أنجبت لنا عالما من أنجب العلماء في هذا العصر.

من خلال الغوص في دراسة هذا الموضوع توصلنا إلى جملة من النتائج تعد بمثابة حوصلة لهذا البحث وهي كالآتي:

– يعد مصطلح العجائبية مصطلحا زئبقيا لا يمكن تعريفه بسهولة، وذلك لأنه يتداخل مع عدة مصطلحات أخرى مثل: العجيب، الغريب، الفنتازيا، الفنتاستيك، السحري، الخارق.

– تذمر الفكون من زمانه ونحن نتساءل عن السبب؟ وتكون إجابته بأن المجتمع الجزائري لم يعد يهتم بالعلماء وبدأت الأحوال تسوء يوما بعد يوم، وقد جسد الفكون حالة التذمر هذه في عدة مواضع في مؤَلَفهِ.

– انتقد الفكون أشباه العلماء الذين يتقنون مسألة أو مسألتين ويلبسون زي الفقهاء ويفتون بالجهالة، يحكمون بالرذالة كما انتقد أدعياء العلم في الوصول إلى المناصب العليا كالقضاء، وأعطانا على ذلك نماذج كثيرة فيها من العجيب والغريب ما فيها.

– الحال الذي وصل إليه التدين والتصوف، حيث ظهرت طائفة من الدجاجلة الكذابين أدعياء التصوف، فتنت بهم العامة وابتعدوا عن العلماء، وأصبح الرجل يكفيه أن يلبس الرث من الثياب ويعتزل الناس حتى يصبح وليا من الأولياء تجري الكرامات على يده، يأكلون أموال الناس بالباطل واتخذوا لذلك مظاهر كثيرة كالوعدات والحضرات.

– تعززت مظاهر الانحطاط التي أعقبت انهيار الدولة الموحدية ففي الوقت الذي كانت الكنائس تدافع عن نفسها في أوربا، كانت الزاوية في موقع الهجوم، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تسير نحو العلم والتقنية، كان مجتمعنا يسير باتجاه الانغلاق والتخلف.

– الفكون عالم من علماء الجزائر، كان له دور في نشر العلم والمعرفة ومحاربة الخرافات والبدع، قال الله عز وجل: " إنما يخشى الله من عباده العلماء " وقال:" قل هل يستوي الذين لا يعلمون".

– منشور" الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" للفكون يصنَّف ضمن أدب التراجم والسير الدينيّة المغربيّة المنثورة، التي دوَّنَها أصحابها بأنفسهم، وقد اعتمد الفكون في تدوينها على ذاكرته، لأحداث عايشها وشخصيات عاصرها وأخرى سمع عنها وقد كان لهذا الأمر أثره في تعجيب مضامين ما احتوته المدونة.

–للأفعال السحريّة علاقة وطيدة بالعجائبيّة الغربيّة والعربيّة وهذا ما لمسناه من خلال الطقوس التي كانوا يستعملونها آنذاك.

– ساهمت أفعال الجنّ والملائكة مساهمة كبيرة في إضفاء العجب على المدونة؛ إذْ تكرّر ذكْرُهم كثيرا، والجنّ والملائكة مخلوقات عجائبيّة بامتياز، وقد استُنتِجَ في هذه الدراسة أنّ صورة الجنّ والملائكة في "المدونة " نشأتْ من النصوص الدينيّة كما انها مخلوقات يمكنها التشكل كما رأيناه سابقا في حادثة الهرين الذين قيل على انهما ملكين.

– المجتمع القسنطيني لم يكن مجتمعا ناضجا والدليل انهم تحت الحماية العثمانية، وكذلك إيمانهم بهذه المعتقدات الساذجة.

– معظم التمظهرات التي بيناها ترجع الى مرجعية بارزة تمثلت في المركزية الدينة .

– كذلك تلك التمظهرات العديدة، سواء من حيث الأفعال المبالغة أو تلك الشخصيات التي ما فتِئت تدعي المشيخة أو الولاية والتستر وراء أفعال وممارسات يعجب لها العاقل فسبيلهم في

تحقيق ما يختلج بصدورهم خول لأنفسهم أن يبرروا لها ذلك وكل هذه التمظهرات السابقة الذكر التي عرفناها تندرج ضمن هذا التنوّع من صور العجائبيّة في "المدونة " والذي يُعدّ دليلا صريحا على سعة الخيال العربيّ، وعلى تحليقهِ في أجواء العجائبيّة مُنذ القِدم.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

المصادر :

1) الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي1987.

المراجع:

2) الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، كمال أبو ديب، دار الساقي ودار أوكس للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

3) الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م.

4) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، (د،ط)، 1417هـ- 1997م.

5) أشكال التعبير في الأدب العربي الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1974م.

6) بستان العارفين، تح: محمد الحجار، النوويّ يحيى بن شرف، دار البشائر الإسلامية، لبنان- بيروت, ط 6، 2006م.

7) بناءالمصطلح، (العجيب والغريب والخارق والفنتاستيك)، عبد الحي العباس، على الرابط www.qaboqaosoyn.com .

8) بنيات العجائبي في الرواية العربية، شعيب حليفي، مجلة فصول، مج: 16، ع :03، ج :01، شتاء، 1997م.

9) بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية، حسن بحراوي، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990م.
10) بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة، المصطفى مويقن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2005م.
11) تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله أبو القاسم ،ج2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط،1985م.
12) تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، أنظر خليل اينا لجيك: ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
13) تاريخ حاضرة قسنطينة، ابن المبارك بن العطار: تحقيق رابح بونار، دون معلومات حول الطبع.
14) شرح جوهرة التوحيد، تحفة المريد: البيجوري إبراهيم بن محمّد ،القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1422هـ-2002م
15) حبكة العجائبي في المتخيل السردي العربي قراءة في عالم أحمد الفقيه القصصي، ميسوم عبد القادر، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع: 17 ديسمبر 2014م.
16) حقيقة السحر وحكمه، عبد الله بن عيسى بن موسى الأحمدي، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ع: 5، 1436هـ.
17) الحكاية الخرافية، (نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها)، فردريش فون دير لاين، تر:نبيلة إبراهيم مراجعة: عزالدين إسماعيل، دار غريب، القاهرة، 1987م.
18) الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، حورية بن سالم، دراسة ونصوص، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، (د.ت).
19) حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1426هـ-2005م،.
20) الحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام محمد هارون، ج6، مصطفى الحلبي البابي وأولاده، مصر- القاهرة، ط2، 1967م.
21) الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 2003م - 1424هـ.

22) الخطابة، أرسطو، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1979م.
23) الدرما والفرجة المسرحية، أحمد إبراهيم، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2006م.
24) الرواية العربية الفنتاستيكية، جميل حمداوي، على الرابط: http://www.ahewar.org/
25) السرد العربي، مفاهيم وتجليات،سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ،2012م.
26) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر- بيروت- د.ت تعريف1985 م.
27) الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة ل: غابرييل غارسيا ماركيز، باية غيوب، أنماطها، مواصفاتها، أبعادها، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، (د،ط)، 2012م.
28) عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1404هـ.
29) عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط4، 1422هـ، 2002م.
30) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2003م.
31) العجائبية في الرواية الجزائرية، الخامسة علاوي، دار التنوير الجزائر، (د، ط)، 2013م.
32) العجائبية في أدب الرحلات، الخامسة علاوي، رحلة ابن فضلان أنموذجا، منشورات منتوري قسنطينة، الجزائر، (د،ط)، 2006-2005م.
33) العجائبية في رواية سرادق الحلم والفجيعة عز الدين جلاوجي، أمال ماي، مجلة المخبر، ع:09، 2013م.
34) العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات ركن الدين الوهراني، فاطمة الزهراء عطية، نقلا عن: شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف: الجزائر، دار الأمان، المغرب، 2009م.

35) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو العباس الغبريني: تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
36) العين والإبرة، دراسة في ألف ليلة وليلة،عبد الفتاح كليطو، تر: مصطفى النحال، مراجعة: محمد برادة، الفنك للترجمة العربية، المغرب، (د،ط)، 1996م.
37) الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب، شاكر عبد الحميد، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، يناير، 2012م .
38) فتح الإله ومتنه في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون رقم ط، 1990م.
39) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تح: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار المنهاج، الرياض، ط 1، 2007م.
40) الفضاء العجيب، نبية الفضاء في سيرة الملك سيف بن ذي يزن، صفاء ذياب، مجلة الثقافة الشعبية، ع :33، ربيع 2016م.
41) قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، سعيد يقطين، ط 1، المركز الثقافي العربي، لبنان المغرب، 1997م.
42) القاموس المحيط، الفيروزأبادي محمد بن يعقوب، توثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1999م.
43) قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري، الزروق، أحمد. ترجمة وتحقيق: محمود بن الشريف، القاهرة: دار التراث العربي 1998م.
44) كتاب التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 816 هـ، 1413م.
45) لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1444هـ، 1994م.
46) متن الأجرومية، ابن أجروم، محمد، ط1، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1998م.
47) محاضرة أنظر الكلمة التي ألقاها المهدي البوعبدلي يوم الجمعة 1977/ 01 /07 بقاعة كلية الشعب بقسنطينة، بعنوان (عبد الكريم الفكون وكتابة منشور الهداية).

48) محمد التونجي، المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ - 1999م.
49) مختصر خليل، ابن إسحاق خليل ، صححه وعلق عليه الطاهر أحمد الزاوي، ط2، لبنان: دار المدار الإسلامي، 2004م.
50) المدخل ، العبدري محمد، مصر، مكتبة دار التراث، 725هـ/1358م.
51) مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف تزفيطان، تر: الصديق بوعلام، مراجعة: محمد براءة، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1994م.
52) مذكرة العجائبي في الرواية العربية، نماذج مختارة، (أحمد حسن بصرة)، نورة العنزي، رسالة الماجستير، جامعة الملك مسعود، المملكة العربية السعودية، كلية الدراسات العليا،2007م.
53) مذكرة العجائبية في الرواية العربية المعاصرة، مقاربة موضوعاتية تحليلية، (الطيب بودربالة)، بهاء بن نوار، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، 2012-2013م.
54) مذكرة تيمَةُ العجَائبيَّةِ وتَمَظْهُرَاتُهَا فِي رِحْلَةِ تُحْفَةِ الأَلْبَابِ ونُخْبَةِ الإِعْجَابِ لِأَبِي حَامِدٍ الغَرْنَاطِيِّ مُقَارَبَةٌ مَوْضُوعَاتِيَّةٌ ،نذير بالحاج رسالة ماستر، جامعة ميلة، 2018-2019م.
55) المركزيّة الغربيّة إشكاليّة التكوّن والتمركز حول الذات، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان- بيروت، دط ، 2003م.
56) المسرح في الجزائر، صالح لمباركية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط2، 2007م.
57) الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق، معاشي جميلة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر،2015م.
58) معجم العين، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، لبنان، بيروت، ط1، 1988م.
59) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ-1985 م.

60) المعجم المفضل في الأدب العربي، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ، 1999م.
61) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، إستنبول، تركيا.
62) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
63) مقال أدلى بهذه المعلومات عميد أسرة الفكون الشيخ حسونة الفكون لجميلة معاشي أوردها في أطروحة ماجستير بعنوان، (الأسرات المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، في 10 هـ - 13 هـ/ 16م - 19م).
64) مقال السّرد العجائبيّ، مقاربة نظرية، نجوى بوقدوم، مجلّة المقال، الع 5, جامعة باجي مختار، الجزائر- عنابة.
65) مقال القتل بالسحر، دراسة فقهية مقارنة، جابر إسماعيل الحجاحجة، مجلة الجامعة الإسلامية، مج: 17، ع: الأول، يناير، 2009م.
66) مقدمة قصيرة جدا، أوين ديفيز، السحر، تر رحاب صلاح الدين، مراجعة: هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، ط1 .
67) المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة، حكايات السندباد البحري أنموذجا، عبد المجيد بدراوي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مجلة كلية الآداب واللغات، ع: 13، جوان 2013م.
68) ملحمة العرب، سيرة عنترة بن شداد العبسي، مع دراسة مقارنة السير في الملاحم العالمية، رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د،ت)،2003 م.
69) المنامات لون نثري في الأدب العربي، علاء الدين محمد رشيد، دراسة في المنام الكبير للوهراني (ت 575هـ)، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، مج19، ع07، تموز2012م.
70) موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها، محمّد عجينة، دار الفارابي، لبنان- بيروت، ط1، 1994.
71) الموطّأ، مالك بن أنس، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، الج2، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، دط، 1958.

72) النص العجائبي، مائة ليلة وليلة أنموذجا، محمد تنفو، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.

73) نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 1419هـ ،1998م.

74) نفخ الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، سليمان الصيد: دون ذكر دار الطبع، ط1، 1994.

75) فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، محمد الصالح بن العنتري ، الدكتور يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر ،**1438هـ**.

76) Mercier, élévation de la famille EL FAGGOUN 1879 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة:.....أ
الفصل الأول: مفاهيم أولية 6
المبحث الأول؛ مفهوم العجائبية ونشأتها:.....6
أولا؛ مفهوم العجائبية: 6
1-لغة: 6
أ- القرآن الكريم: 6
ب- المعاجم العربية:.....7
2- اصطلاحا: 8
أ-العجائبية في الأدب الغربي:.....9
ب- العجائبية في الأدب العربي:.....10
3-شروط العجائبي عند "تودروف": 11
4 -نقد الطرح التودوروفي العجائبي: 12
5- اهم المصطلحات المتداخلة مع العجائبي:.....14
أ- العجيب: 14
ب-الغريب: 15
ج- الفنتاستيك :.....16
د- الخارق:.....17
ه- الفنتازيا:.....17
و-السحري/المدهش:.....18
ثانيا: نشأة العجائبية : 18
1-عند الغرب : 18
2- عند العرب : 20
ثالثا: تمظهرات العجائبية في الأدب العربي : 23
1- الحكاية الخرافية: 23
2- السيرة الشعبية: 24

3- الرواية: 25
4- المسرح: 26
المبحث الثاني؛ التعريف بالكاتب وبمُؤَلَّفِه: 27
أولا: التعريف بابن الفكون. 27
1-نشأته: 27
2-عائلته ومكانته فيها : 28
أ-عائلته: 28
ب-مكانة الفكون: 30
3-شيوخه: 31
4-تلامذته: 32
5- آثاره: 32
6-آراء الآخرين فيه: 33
ثانيا: التعريف بالمُؤَلَف "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" 34
1-النسخة المُعتمدة: 34
2-ملخص مضمون منشور الهداية: 36
3-منهج الكتابة وأبرز ميزاته: 36
4-مصادره: 38
5-أهمية الكتاب وقيمته العلمية: 39
الفصل الثاني؛ تمظهرات العجائبيّة ومرجعيتها: 44
المبحث الأول؛ تمظهرات العجائبيّة: 44
1-عجائبية السحر: 44
2-عجائبيّة الجنّ والملائكة: 46
أ- الجن: 46
ب- الملائكة: 49
3-عجائبية المكان: 49
4-عجائبيّة الحيوان: 52

5-عجائبيّة النّبات: 54
6-عجائبية الاحلام:.....55
7-عجائبية الإدلاء بالحجة:.....59
8-عجائبية وصفات الشفاء: 62
9-العجائبيّة في الأفعال المبالغ فيها: 63
10-عجائبيّة الكرامات: 71
11-عجائبية الدجل والادعاء:.....74
12-عجائبية الشخصيات:.....82
المبحث الثاني؛ مرجعية العجائبيّة: 85
دلائل سيطرة المركزية الدينيّة على عجائبيّات المدونة:.....87
خاتمـــة: 96
فهرس المصادر والمراجع.....100
فهرس المحتويات 108
ملخص:.....113

الملخص

- الملخص باللغة العربية
- الترجمة الإنجليزية

ملخص:

حاولتْ هذه الدراسة البحث عن العجائبية، من خلال تراجم وسير الأعلام، الذين ترجم لهم عبد الكريم الفكون القسنطيني، في كتابه: "منشُور الهِداية في كشف حال من ادّعى العلمَ والولايَة". وبعد بيان مفهوم العجائبية، والتعريف بالكاتب والكتاب، ظهرت أنواع مختلفة من العجائبية، التي تثير الدهشة والغرابة، منها: عجائبية السحر، والجن، والملائكة، والمكان، والحيوان، والنبات، والأحلام، وغيرها. ولكن كل تلك العجائبيات ترجع في أصلها إلى مرجعية واحدة وهي الدين؛ ولم يكن نشر العجائبيات غاية في حد ذاته عند الكاتب، وإنما كان هدفه كشف الزائف منها والصحيح.

Summary:

This research tried to investigate the truth of miracuolousness throughout the biographies of scholars , for whom the famous Karim El- Fekoun Elcostantini translated in his book :" the circular of guidance in Exposing the status of those who claimed knowledge and worship" After the clarification of the concept " miraculousness" and the introduction of the writer and the book ,different types of it appeared, that causes surprise and strange. Hence, we can mention: the miraculousness of magic, jinn, angels. Place , animals, plants, dreams...etc. all the already mentioned items are traced back to relegion. Publishing these miracles was not the targeted goal for the writer . However , trying to distinguish beteween the wrong and right was the ultimate aim.